سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (37) | 3 / 6 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

عمل للفنان: سومر سلام
بعنوان من الحولة .. إلى السماء

2012

مجزرة الحولة.. وصمة عار في جبين كل من سكت عنها

صحيفة التايمز: أطفال الحولة قتلوا ذبحا أو بطلقة

أشارت صحيفة تايمز البريطانية إلى أن أطفال بلدة الحولة بحمص السورية لم يقتلوا بالقصف المدفعي العشوائي، ولكنهم واجهوا مصيرا مروعا تمثل في ذبحهم بدم بارد على أيدي من وصفتهم بشبيحة الرئيس السوري بشار الأسد.

وأوضحت أن مليشيات دخلت بلدة الحولة في حمص السورية ليلا وهي تتسلح بالبنادق والسكاكين، وأن الضحايا الصغار واجهوا الذبح بالسكين في الرقبة أو من خلال طلقة في الرأس أو موقع آخر من الجسد، الواحد تلو الآخر.

وأضافت تايمز أن إحدى صور مجزرة أطفال الحولة أظهرت طفلة وصفتها بالملائكية البريئة ولا يتجاوز عمرها عامين، وقرط صغير من الذهب في أذنيها، وقد ضمها كفن أبيض، بعد أن فقدت نصف جمجمتها، وما بقي من رأسها سوى بعض العظام البارزة من الجرح النازف.

وعرضت الصحيفة تفاصيل مؤثرة لصور أخرى، مثل تلك التي أظهرت صبيا في السادسة أو السابعة من العمر وقد انزاح عن كتفه الغطاء ليكشف عن جسد أبيض، وهو يبدو وكأنه نائما، لكن الجزء الخلفي من رأسه قد تعرض للنهش، فصار رأسه أشبه ببيضة مسلوقة وقد اقتطع منها الجزء العلوي، وبدا دماغه منسكبا على البطانية خلفه.

صور مروعة

وصورة ثالثة لصبية جميلة في مقتبل العمر، وقد بدا فمها فاغرا قليلا كما لو أنها كانت تبتسم، ولكن فتحة نازفة هي أثر رصاصة بدت فوق عينها اليمنى، وقد تركت الرصاصة خلفها كتلة متناثرة من لحم وعظام رأس الصبية.

ومضت تايمز بالقول إن مسلسل الصور المروعة لمجزرة أطفال الحولة يستمر، ولكنها مناظر تسبب الصدمة، مما يضطر الصحيفة للامتناع عن ذكر تفاصيلها، رغم معرفتها أن عدم نشرها المزيد من شأنه أن يصب في صالح حماية نظام الأسد.

وقالت إن ثمة صورة لطفل رضيع من ضحايا المجزرة لا يرتدي سوى الحفاضة، وإن جسد الضحية لم يصب بتشوهات سوى أنه فقد إحدى يديه الصغيرتين.

وأضافت أن من بين الضحايا أيضا صبية صغيرة ترتدي فانيلا وعليها كلمة "بيبي" أو "دوللي" ملطخة بالدماء، وقد تطاير فك الصغيرة من وجهها، وأشارت إلى رجل يحمل جسد طفل ولم يتبق سوى نصف رأسه.

ومضت الصحيفة بالقول إن هناك أطفالا آخرين من ضحايا مجزرة الحولة هم إما إخوة وأخوات وإما أبناء وبنات عمومة وقد غرقت ملابسهم بالدماء واقتلعت عيونهم وشوهت وجوههم بالسكاكين، وإما ترك الرصاص فتحات واضحة في أجسادهم، مشيرة إلى أن ثمة فتاة صغيرة قد قطع أنفها وخدها، وإلى أن طفلين ملقيين على الأرض ويبدوان وكأن أيديهما مقيدة.

شبيحة الأسد

وقالت تايمز إن حوالي 49 طفلا لاقوا حتفهم في مجزرة الحولة ذبحا بالسكين أو بالرصاص من مكان قريب، وذلك على أيدي من وصفتهم بالسفاحين وقاطعي الطرق من شبيحة الأسد، مضيفة أن 108 مدنيين على الأقل لقوا حتفه في المجزرة، من بينهم 34 من النساء، في ما وصفتها بعملية ذبح استهدفت الأطفال الرضع والأبرياء.

ونسبت الصحيفة لبعض شهود عيان رواياتهم بشأن المجزرة المروعة، ومن بينها ما روته مسنة لمنظمة هيومن رايتس ووتش المعنية بحقوق الإنسان، حيث قالت إنها كانت تقيم مع ثلاثة من أحفادها ومثلهم من حفيداتها وابنتها وشقيقة زوجها وغيرهم من الأقارب.

وتواصل القول إنها سمعت رجلا يصرخ بوجه عائلتها، ثم سرعان ما سمعت صراخهم وعويلهم وهم يتعرضون للموت بالرصاص، وهي تختبئ مرتجفة خلف الباب.

كما أشارت الصحيفة إلى ما وصفتها ببرك الدماء على بعض الأسرة المزدوجة في المنازل في بلدة الحولة، وإلى جدران المنازل وقد تلطخت بالدماء.

إدانة دولية لمجزرة الحولة ودعوات لتحرك دولية

كل حروب الدنيا تطلق العفاريت من عقالها، كما يقول صحفي بريطاني يغطي أحداث الانتفاضة في سوريا.

فقد كان وقع المذابح من مجزرة سربرنيتشيا التي شهدتها البوسنة والهرسك عام 1995 إلى مأساة ماي لاي التي لقي فيها ما بين ثلاثمائة إلى خمسمائة قروي مصرعهم على يد الجنود الأميركيين إبان حرب فيتنام عام 1968 إلى مذبحة الحولة السورية، من الفظاعة بحيث تعذر على الناس حينها تصديقها في بادئ الأمر.

لكن ما إن ينقشع الضباب عن الأحداث وتنجلي الحقيقة حتى تبدو الوقائع في كثير من الأحيان أسوأ مما كان يُتصور.

فكيف وصلت الأمور في سوريا إلى حد أن يجرؤ طرف من أطراف الصراع هناك على حز أعناق أطفال أبرياء على نحو ما جرى في بلدة الحولة القريبة من حمص الجمعة الماضي، حيث قتل 114 شخصا بينهم 32 طفلا؟

وهل تعني هذه المذبحة التي لقيت إدانة دولية واسعة النطاق وسخطا شعبيا عارما، أن سوريا تنزلق أسرع من أي وقت مضى في أتون حرب أهلية شاملة؟

يرى بعض المراقبين أن مذبحة الحولة تمثل منعطفا في الأزمة السورية التي بدت في الآونة الأخيرة وكأن المجتمع الدولي يدير لها ظهره.

يقول الصحفي البريطاني باتريك كوكبيرن إن أجزاء من سوريا تئن من وطأة حرب أهلية بالفعل، بينما تعيش مناطق أخرى حياتها بشكل طبيعي.

ويضيف في مقاله الأسبوعي بصحيفة إندبندنت اليوم الأحد أن موفد الأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي أنان إلى سوريا سيزور دمشق خلال اليومين القادمين، في محاولة منه ليضفي مزيدا من المنعة على وقف إطلاق النار الذي بدأ سريانه في 12 أبريل/نيسان الماضي.

وهناك من يرى أن حادثة الحولة أنهت فعليا أي إمكانية لصمود وقف إطلاق النار بين طرفي النزاع في سوريا.

لكن الزيارة هذه المرة تأتي في وقت حرج، ذلك أن حادثة الحولة أعادت سوريا مرة أخرى إلى بؤرة الاهتمام الدولي، وربما

باتت هدفا محتملا لشكل من أشكال التدخل الأجنبي كما يرى كوكبيرن.

أما الأمر الذي لا يتطرق إليه الشك فعلا فهو أن الضغوط الدولية ستزداد من أجل تقديم دعم للثوار وفرض عقوبات أشد على النظام السوري.

ولعل ما حدث في الحولة على نحو ما أظهرته شاشات التلفزة في جميع أنحاء العالم من شأنه أن يعزز عزلة النظام السوري، بعدما بدا وكأنه أشرف على الخروج منها.

وطبقا لكوكبيرن، فإن حكومة الرئيس بشار الأسد استقوت في الآونة الأخيرة بخطة أنان التي قلصت من احتمالات التدخل الأجنبي.

ثم جاءت مذبحة الحولة لتبعث على الشك في كل ذلك ولتمارس ضغطا على عنان من أجل تعزيز خطته لوقف النار في سوريا بشكل أكثر فعالية مما هي عليه الآن.

والسؤال الذي يتبادر إلى أذهان الكثيرين هو: من ارتكب هذه الجريمة الشنعاء؟ فالمعارضة السورية بشقيها السياسي والعسكري تحمل النظام المسؤولية، بينما تنحي دمشق باللائمة على ما تسميها المنظمات الإرهابية، في إشارة إلى الجيش السوري الحر وسواه من المناوئين للحكومة.

غير أن منظمة هيومن رايتس ووتش المعنية بحقوق الإنسان اتهمت بلهجة لا لبس فيها ولا غموض قوى الأمن السورية بارتكاب الجريمة.

فقد صرح المسؤول بالمنظمة، نديم حوري، للتلفزيون الفرنسي أن لديهم أدلة كافية على تورط قوات الأسد في قتل أولئك الضحايا بدم بارد.

وتشاطر صحيفة صنداي تلغراف البريطانية منظمة هيومن رايتس ووتش الرأي نفسه.

فقد ذكرت في عددها اليوم الأحد أن ما يحدث في البلدات والقرى المحيطة بمدينة حمص هو أن قوات النظام ما إن تشرع في خوض معركة مع الجيش السوري الحر حتى ينخرط "شبيحته" في بث الرعب وسط السكان المدنيين.

ووفقا للصحيفة فإن النظام السوري يتصرف على افتراض أنه كلما اتسم الوضع بمزيد من الفوضى، تراجعت احتمالات التدخل الدولي.

كما أن النظام يعتقد أن بمقدوره التحايل على المراقبين الدوليين، وأن القوى الغربية المنغمسة في الانتخابات والأزمات المالية لا ترغب في التورط في الشأن السوري، وتتحين الأعذار للامتناع عن ذلك.

أما وقد ازداد كل من النظام الحاكم والمعارضة المسلحة قوّة ومنعة في الأشهر الستة الماضية، بحيث لا يجد أي منهما سببا لتقديم تنازلات، فإن المشهد يُنبئ بحرب طويلة باتت نذرها ظاهرة للعيان.

النظام يستخدم سلاح "المحاكم الميدانية" لإعدام النشطاء

قال نشطاء إن النظام السوري عاد مؤخرا إلى استخدام محاكم الميدان العسكرية بشكل متواتر بحق معتقلي الثورة من مدنيين وعسكريين في ظل قلق بالغ على مصيرهم، نظرا للسرية المطلقة لهذه المحاكم، وبقاء مصير المعتقل الذي يحال إليها مجهولا حتى بعد صدور الحكم بحقه.

والمحكمة الميدانية العسكرية هي قضاء استثنائي أنشئ بموجب المرسوم التشريعي 109 للعام 1968 من قبل حافظ الأسد، وأعضاؤها جميعا من العسكريين.

وقد استخدمت في زمن الأسد الأب لإصدار أحكام بالإعدام بحق آلاف المعتقلين، واستخدمها الأسد الابن لمحاكمة عدد من المعتقلين بمن فيهم معتقلي الحراك اللاعنفي (كمجموعة معتقلي داريا). وعاد النظام السوري مؤخرا لاستخدام هذه المحكمة بتواتر لإصدار أحكام بالإعدام أو الاعتقال المؤبد أو السجن لسنوات طويلة بحق معتقلي الثورة من مدنيين وعسكريين. ولا يسمح لمحام أو لأي شخص بحضور هذه المحاكمات أو معرفة حيثيات المحاكمة أو الحكم الصادر بحق المعتقل الذي يحتجز حصرا في سجن صيدنايا العسكري وتمنع زيارته بشكل كامل.

مئة يوم من السير حفاه إلى الحريّة

يحتفلُ فرع الأمن الجوّي في دمشق اليوم بدخول اليوم ال 100 على اعتقاله للأصدقاء في المركز السوري للإعلام وحريّة التعبير. مئة يوم ولا أحد من أقربائه وذوي المعتقلين يعرفُ عن صحتهم النفسية أو الجسدية شيئاً، مئة يوم دون محاكمه، مئة يوم دون الإحالة للقضاء.

مئة يوم ونحنُ هنا مازلنا بانتظارهم كأن الظلام لم يخطفهم مئة يوم، كأنهم لم يغيبوا مئة يوم من الظلم، ننتظرهم وكأن موعداً مسبقاً يجمعنا مع الحريّة قد وشمَ على سواعدنا جميعاً قبل الولادة.

مازن درويش وحسين غرير وعبد الحميد حمادة ومنصور العمري، وهاني زيتاني مئة يوم من السير حفاه باتجاه الحرية ومازال حبّ هذا الوطن يزرعُ فيكم أشجار ياسمين وليمون تنجب من كل ليمونة، وكل ياسمينة ، حقولاً من الحريّة تغطي كل ذلك الظلم، وكل الطغيان، وكل القمع؛ الحريّة هي فطرة الإنسان الأولى.

الحريّة لكم يا أصدقائي في هذا الوطن، وهذا الحب وهذه الحريّة.

الحريّة لكم، ولسجانكم !

كما دائماً، قلبي يذهب إليكم أينما كنتم وكيفما كنتم، أصدقائي، كونوا بخير فالمستقبل بانتظارنا!!

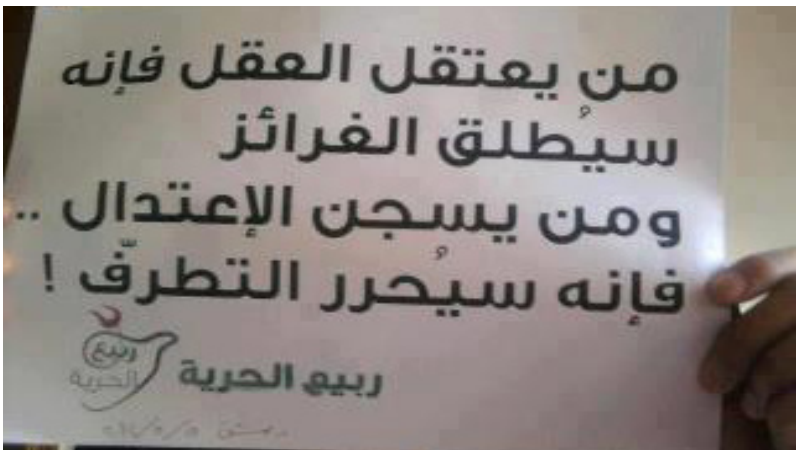

أوجـــاع وطـــن

من ذاكرة السجون السورية: بانتظار مُضر الجندي

لا أعرفه؛ لم ألتق به في حياتي يوماً ولن افعل. مضر الجندي اسم بلا جسد في ذاكرة المعتقلات السورية. أعرف ابنته الوحيدة بغرفتها المرتبة، النظيفة والتي يسكنها الحزن بسبب فراغ موقع الأب الذي لم يمتلئ يوما. في غرفة ابنته سنا استمعت أوّل مرة في حياتي إلى جوليا بطرس تغني «يا قصص عم تكتب أسامينا، عزمان الماضي وتمحينا...» وأعرف زوجته ذات الإبتسامة الرقيقة والجسد النحيل.

اعتقلت المخابرات العسكرية – فرع فلسطين مضر الجندي عام 1987 في إطار حملة الاعتقالات التي شنّتها ضد أفراد حزب العمل الشيوعي، والتي انتهت إلى سَجن القسم الأعظم منهم، الرجال والنساء، قضوا بعدها عدة سنوات في السجن. بعضهم ابتلع سجن صيدنايا من عمره أكثر من اثني عشر عاما، وحتى خمسة عشر عاما، إلا مضر.

توفيّ مضر الجندي بسبب أزمة ربو. تضاعفت انعكاساتها على وقع أول جولة تعذيب، كما يقول من كان معه في المعتقل. إلاّ أنّ جثته لم تُسلم حتى تاريخه، كما لم يصدر أي اعتراف رسمي بوفاته. كل ما عُرف عن تلك الوفاة هو الأخبار التي بقيت في ذاكرة المعتقلين الآخرين وما زالوا يَروونها.

في مهاجع الإعتقال الخاصة بفرع فلسطين أعاد المعتقلون اكتشاف "شيفرة مورس" ليتبادلوا من خلالها أخبارهم، فأدرك من كان يومها في المُعتقل أنّ كلاً من الجندي وزميله إ. د. قد اعتُقِلا، ولكن بعد يومين لم يستطيعوا التواصل مع أيّ منهما، وكأنّهما قد فُقِدا. لاحقاً حضر إليهم معتقل من فرع التحقيق العسكري أخبرهم أنّ إ. د. قد نُقِل إلى هناك. اعتبر البعض من زملاء مضر وإ. د أنّ هذا الإجراء تمّ إثر وفاة مضر كي لا يتحدث إ. د. عن مضر واعتقالهما معاً، خاصة بعد أن اجتمعت مؤشرات أخرى تذهب في هذا الاتجاه. كان من أهم هذه المؤشرات أنه في فترة لاحقة، وعلى أثر التعذيب، تمّ نقل أحد المُعتقلين إلى مشفى «تشرين العسكري»، حيث التقى بمُعتقل آخر ينتمي إلى «جماعة عرفات»، أي منظمة التحرير الفلسطينية، أخبرَه أنّه في المرّة السابقة التي تمّ نقله فيها إلى المشفى من فرع فلسطين كان في السيارة التي أحضرته جثّة ملفوفة ببطانية، الأمر الذي يتقاطع زمنياً مع وقت اعتقال مضر الجندي.

هل يوجد أكثر من هذا؟ لا... فقط رُكام أسئلة وحُطام سنوات. سنوات مرّت على والدة مضر وهي لا تزال على يقينها من عودته. مضر سيعود ذات مساء أو ذات صباح، في يوم ماطر أو في إحدى ليالي الصيف الدمشقي الكسول. أمّا الابنة التي لم تلتق والدها يوماً، فلا تزال تبحث في الأشياء والأماكن وتفاصيل حياة ترويها والدتها وبعض من رفاقه عن صورة أب هو مُجرّد حلم.

هل كان يُمكن العثور على معلومات أكثر من هذه؟ هل كانت حياة مضر الجندي تهمّ من اعتقله فيخشى عليه من التعذيب؟ هل كان يُمكن أن لا يموت مُضر الجندي لو لم يكن مُصاباً بالربو أو لو كان التعذيب أقل وحشيّة؟ أو لو انتبه من يُعذّبه أنّه يُعذّب رجلاً يلفظ أنفاسه الأخيرة، يُفارق الحياة؟ هل فارق مضر الجندي الحياة فعلاً؟

بعد سنوات من الإتصالات والرجاءات، تمكّنت زوجة مضر من رؤية رئيس فرع التحقيق العسكري عام 1994 وطالبته بوثيقة تثبت وفاة زوجها. أجابها أنه يمكنه إخبارها أنّ مضر قد توفي، لتذهب وتؤسس لنفسها حياة أخرى، ولكنه لن يتمكن من إعطائها وثيقة رسمية تثبت هذه الواقعة، ولم يفعل. لم تتزوّج أميرة مرّة أخرى واكتفت بحياتها مع ابنتها وصور مضر.

تمّ اعتقال المهندس مضر الجندي مساء 20 أيلول/سبتمبر 1987 من شارع بغداد في دمشق، وعمره يومها 34 عاماً، بعد أن كان مُلاحقاً لثلاث سنوات. إن كان مضر الجندي لا يزال حيّاً، فسيكون له من العمر 59 عاماً. وإن لم يكن، فلوالدته الحق في ارتداء ملابس الحداد، وفي شاهدة قبر تغسلها صباح كل عيد. ولابنته الحق في جثمان أب يملأ فراغ روحها، كما لزوجته الحق في وداع أخير.

كتب محمود درويش من الأرض المحتلة:

«وهذا الإسم لي
ولأصدقائي،
أينما كانوا،
ولي جسدي المؤقت
حاضراً أم غائباً
متران من هذا التراب
سيكفيان الآن»...

إننا نطالب السلطات السورية بمعرفة مصير مضر الجندي، أو منحه مترين من تراب وطنه.

عن: The Damascus Bureau

كبار السن.. وجه آخر للثورة السورية

عن الجزيرة:

رجال ونساء سوريون في خريف العمر تروي تجاعيد وجوههم حكايات الخمسين سنة الأخيرة من حكم نظام حزب البعث لبلدهم، وجاء الوقت ليشهدوا مجريات الثورة السورية بعد أن أثقلت كواهلهم الأعباء المضاعفة والانتهاكات المستمرة.

العجوز الثمانيني أبو صبحي الدرة أحد هؤلاء، وفي وقت مبكر من الثورة كان قد حسم أمره بمؤازرتها إذ ظهر في شريط فيديو قبل عام بزيه "الدوماني" التقليدي وظهره المحني، متكئا على عصاه وهو يمشي في قلب مظاهرة بدوما، منشدا على الملأ أبيات شعر لشفيق جبري يحيي فيها شباب الثورة ويحثهم على الاستمرار.

درة دوما

ولم يكن يعرف ذلك الشيخ الطاعن في السن أنه سيكون أحد الشهداء الذين هتف لهم يومها، وأنه سيظهر مجددا في مقطع فيديو آخر مفارقا الحياة برصاص الأمن وقد سالت دماؤه على كوفيته. وكان أبو صبحي لحظة استشهاده جالسا على رصيف شارع بدومًا وأمامه بضع حزم من البقدونس التي يبيعها ليكسب قوت يومه، فأصيب بالرصاص وفارق الحياة كما يظهر في الفيديو الذي نشره ناشطون على شبكة الإنترنت.

أحد شباب دوما الذين كانوا يعرفون أبا صبحي قال إن استشهاده بهذه الطريقة أضفى حالة من الخشوع وسط أهالي دوما، وأصبح أيقونة أخرى للثورة السورية وحفرت أبيات الشعر التي كان ينشدها في وجدان المتظاهرين الذين أخذوا يرفعونها في لافتاتهم.

اعتقال ومعاناة

أما العجوز إسماعيل عثمان الصالحة (70 عاما) من معرة النعمان في إدلب فهو معتقل لدى النظام السوري منذ 14 مارس/آذار الماضي إلى الآن، علما أنه لم يكن له أي نشاط يتعلق بالثورة أو السياسة بحسب أحد أبنائه، وهو أب لعشرة من الأبناء وجد لأربعين حفيدا.

وذكر نجله أنه لم تصلهم أي أخبار عنه منذ اعتقاله عند إحدى نقاط التفتيش، معربا عن قلقه على صحته حيث يعاني من السكر وضغط الدم. ورجح أن يكون سبب اعتقاله هو ابتزاز لابنه غسان الذي كان ناشطا سلميا في مدينته، والذي غادر سوريا بعد خروجه من الاعتقال.

شباب الثورة لديهم قصص لا تنتهي مع كبار السن الذين كانوا سندا لهم في ظروف حرجة، ومنهم الناشط خالد أبو صلاح الذي قال إن الأفكار تزاحمه عندما يستحضر ذكرى رشيدة الياسين (التي جاوزت 70 عاما) التي وصفها بالأم للثوار "فعندما كان الناس يخافون من إيواء من يحرضون على التظاهر، كان بيت زوجها الحاج محمود البويضاني الموئل الوحيد لهم في بابا عمرو". وكانت تتعهدهم بالرعاية وتحرص على إطعامهم والسؤال عنهم عندما يغيبون.

تجسيد للصمود

وبيّن أبو صلاح أن تلك المرأة أظهرت صمودا وتجلدا أمام الظروف العصيبة التي مرت بها خلال شهورها الأخيرة، إذ استشهد حفيدها خالد واعتقل ابنها الوكيل ثم توفي زوجها على إثر ذلك بفترة قصيرة.

كما نجا لها ابن آخر من الموت وتم نقله إلى خارج سوريا وهو مصاب برصاصة في رأسه، ورغم كل ذلك بقيت مؤمنة بالنصر وتقدم كل ما تستطيعه لأبي صلاح ورفاقه إلى أن أصيبت بوعكة صحية أثناء اجتياح عسكري للحي حيث رفض الجنود إسعافها وبقيت تعاني إلى أن فاضت روحها، وقال "لقد بكينا عليها كما لم نبك على شهيد قبلها، شعرنا أننا فقدنا جزءا كبيرا من هذا الحي الشامخ".

وقال أحد الناشطين في المجال الإغاثي والذي يحتك يوميا بالكثير من كبار السن النازحين عن بيوتهم "إن أكثر ما يضغط على هؤلاء هو فقدانهم لبيوتهم التي عاشوا فيها عمرا كاملا ثم وجدوا أنفسهم مشردين ومعوزين وضمن ظروف قاسية، علاوة عن كونهم آباء وأمهات لشباب الثورة والمعتقلين والشهداء ويتكبدون مشاعر الألم على أولادهم ومن جانب آخر يكلفهم ذلك مضايقات كثيرة من قبل النظام". وذكر قصة (أبو حازم) الذي كان في السبعين من عمره وما إن وصل نازحا إلى دمشق مع أسرته، حتى قرر ابنه الشاب الرجوع إلى حمص وفي يوم مغادرته وصل خبر استشهاده، فذهب أبو حازم ليدفن ابنه فاستشهد هو الآخر، وقال الناشط إن الأم وبقية الأسرة لا يعرفون أي شيء عن ظروف مقتلهما ولا أين تم دفنهما؟

الاقتصاد السوري على حافة الهاوية؟

ر لا أحد يعرف على وجه الدقة ما هي حقيقة أوضاع الاقتصاد السوري وكيف تؤثر فيه الأحداث التي تمر بها سورية، والسبب الرئيس هو احتكار المعلومات المتوافرة حول المتغيرات الاقتصادية من قبل السلطات الرسمية، إلى جانب درجة عالية من عدم اليقين حول بعض المؤشرات التي يصدر من قبل الجهات الرسمية. وينسحب ذلك على المؤسسات الدولية مثل صندوق النقد الدولي الذي أعلن أخيراً وعبر مساعدة المديرة العامة للصندوق نعمت شفيق، أنه يتوقع تراجع مستويات النمو في شكل حاد هذا العام من دون أن يتمكن من الحديث عن أرقام محددة.

وعلى رغم التعتيم الشديد على البيانات التي تفرضه السلطات السورية ثمة مؤشرات يمكن أن تعطي صورة عن حقيقة الأوضاع الصعبة التي تشير في وضوح إلى عمق الأزمة التي لا يمكن إنكارها، وأبرز هذه المؤشرات والأهم ربما يتعلق بتقديرات صندوق النقد انخفاض قيمة الليرة السورية بنحو 45 في المئة وذلك منذ بدء الأحداث، مع ما يعنيه ذلك من تبعات على المواطنين، إذ يعني تراجعاً مماثلاً في قيمة الأصول النقدية والمدخرات التي يحتفظ بها المواطنون.

وفي العادة يحاول الناس الهروب من عملة متذبذبة إلى أصول مادية أو إلى أسواق المال، لكن في الحالة السورية، ليس الخياران متاحين، فالسلطات تمنع التحويل إلى عملة أخرى ووضعت حدوداً لما يمكن الفرد الوصول إليه في ما خص الودائع ما يعني أن خفض العملة يصبح أشبه بعقوبة جماعية تمارسها الدولة ضد المدخرين أو المستثمرين، ويعني أن قطاع الأعمال سيرتفع صوته عما قريب إذا استمرت هذه الظروف التي لا يوجد ما يؤشر إلى أنها ستتغير قريباً. ولا يقل الخيار الثاني المتمثل في الذهاب إلى البورصة، سوءاً عن الخيار الأول، فوفق تقديرات صندوق النقد فقدت سوق الأوراق المالية نحو 40 في المئة من قيمتها منذ اندلاع الأزمة، ويكاد التداول يكون متوقفاً بسبب نقص السيولة وعدم وجود رغبة في التداول في الأوراق المالية في ظل الضبابية السائدة.

ولا يخفى صندوق النقد وبعض المؤسسات الإقليمية التأثيرات الإقليمية المحتملة لاستمرار الأزمة السورية، فمن جهة تراجعت الصادرات في حدة وسيمتد تأثير الأمر إلى جيران سورية، خصوصاً العراق ولبنان، وفق صندوق النقد، فمن جهة يعتبَر العراق الشريك التجاري الأول لسورية، وتعتبَر سورية المنفذ الأقرب للعراق إلى البحر المتوسط، ويعطل استمرار أحداث العنف في سورية هذا الممر في تطور من شأنه التأثير سلباً في التجارة مع العراق. أما مع الشريك التجاري الثاني، تركيا، فتوقفت التجارة كذلك باستثناء بعض السلع الأساسية، وتشهد المناطق الحدودية المشتركة بين تركيا وسورية شبه شلل وتوقفاً لكثير من النشاطات وفقداناً كبيراً لفرص العمل، وكانت هذه المناطق من البؤر النشطة في المجال الاقتصادي لجهة توليد فرص العمل والنشاطات السياحية.

وكانت هناك كذلك حركة تجارية رسمية وغير رسمية بين مدينتي درعا السورية والرمثا الأردنية، ويكاد النشاط أن يكون شبه متوقف نظرا إلى طبيعة المخاوف الأمنية السائدة، والتي بسببها تراجعت التبادلات وحركة انتقال الركاب إلى أدنى مستوياتها منذ عقود. وعلى الطرف الآخر يبرز لبنان الأكثر تأثرا مباشرة بما يجري، فالتبادلات بين البلدين مهمة والقطاع المصرفي اللبناني يكاد أن يكون الأنشط في سورية، وهو أعلن في كانون الثاني (يناير) أنه سيلتزم العقوبات الدولية بحق سورية، ما يشمل تجميد أرصدة حكومية وتعليق التعاون مع المصرف المركزي السوري ومصارف أخرى، ما أثر كثيراً في العمليات المصرفية والأرباح التي كان يحققها هذا القطاع وتحوّل إلى المصارف اللبنانية الأم. ورافق هذا الجمود تراجع غير مسبوق في منح القروض والتسهيلات الائتمانية، ما يعني تجميد السيولة. وتقول شفيق في هذا السياق إن «المصارف اللبنانية انسحبت جزئيا من سورية لتكون أقل تعرضا للأزمة»، ما جعل حصول السوريين على القروض أكثر تعقيدا.

وإذا أضيف الحظر على صادرات النفط والسلع الأخرى، يتضح عمق الأزمة الاقتصادية، ويمكن تفسير تراجع الاحتياطات النقدية إلى النصف تقريباً ما يثير علامات الاستفهام حول قدرة الاقتصاد السوري على الصمود والاستمرار بتحقيق نوع من التوازن.

يبقى أن كل مؤشرات القطاعات الإنتاجية والخدمية، ومن ضمنها حوالات العاملين في الخارج، تشير إلى تدهور سريع في الأداء الاقتصادي وحال من الارتباك في ما خص أفضل السبل لإدارة الملف، وما ينجم عن تدهور قيمة العملة وما يرافقه من تضخم وارتفاع في الأسعار يشمل قطاعات عريضة، وحتى الآن نجحت السلطات نسبياً في ضبط أسعار المواد الأساسية التي تستهلكها بكثرة شرائح الدخل المتدني، وكان هذا على حساب احتياط العملات الأجنبية التي تتراجع بوتيرة متزايدة.

والسؤال هو إلى متى يمكن الصمود، فحتى مع التعتيم المتعمد تشير المؤشرات المتاحة إلى أزمة اقتصادية مقبلة لا يوجد كثير من الخيارات للتعامل معها.

وطن يتفتح في الحرية: كتاب وفنانون من أجل سورية
مهرجان ثقافي وفني كبير في الدوحة بقطر

بمشاركة عشرات من الكتاب والفنانين السوريين والعرب تستضيف وزارة الثقافة والفنون والتراث القطرية مهرجان 'وطن يتفتح في الحرية.. كتاب وفنانون سوريون مع الثورة'، ما بين 1 و 8 حزيران /يونيو المقبل.

هيئة 'مثقفون من أجل سوريا' المنظمة للتظاهرة ذكرت أن المهرجان يتضمن أمسيات أدبية وندوات ومعارض وحفلات موسيقية وغنائية تهدف إلى تقديم 'صورة حضارية مشرقة للثورة السورية عبر الإبداع الثقافي والفني بمختلف أشكاله وأنواعه'، فحسب تعبير الهيئة 'المثقف السوري كان جزءا رئيسيا من فعل الحرية ومقاومة الاستبداد خلال كل سنينه السوداء التي جثمت على صدور السوريين'.

وكان المشرفون على الفعالية قد أعلنوا في مؤتمر صحافي الأسبوع الماضي وتحدث فيه كل من إيلاف ياسين المديرة التنفيذية للمهرجان، وحكم البابا المشرف العام، والفنان التشكيلي إسماعيل الرفاعي المشرف على المعارض الفنية وعبد الله الكعبي مدير العلاقات العامة للمهرجان.

يذكر أن 'هيئة مثقفون من أجل سوريا' التي أطلقت المهرجان تضم نخبة من المثقفين العرب الداعمين لثورة الشعب السوري ونضاله من أجل الحرية والكرامة وإقامة نظام ديمقراطي، يرأسها الدكتور عزمي بشارة وتضم بين أعضائها القاص السوري زكريا تامر، الشاعر المصري احمد فؤاد نجم، والفنان التشكيلي السوري علي فرزات، والكاتب اللبناني إلياس خوري، والمخرج السينمائي السوري أسامة محمد، والممثلة السورية مي سكاف، والشاعر الفلسطيني غسان زقطان، والممثل المصري نور الشريف، والمخرج السينمائي المصري خالد يوسف، إبراهيم عبد المجيد - كاتب من مصر، والكاتب والمفكر اللبناني هاني فحص، والكاتب الكويتي طالب الرفاعي، والشاعر الأردني امجد ناصر، والكاتب والأستاذ الجامعي التونسي الحبيب الجنحاني، والممثلة الأردنية نادرة عمران، والكاتب المغربي محمد العربي المساري، والإعلامي السعودي علي الظفيري، والكاتب السعودي خالد الدخيل، والشاعر اليمني عبد العزيز المقالح، والموسيقي العراقي نصير شمة، والشاعر العماني عبد الله الريامي، والتشكيلي السوداني النور حمد.

معارض تشكيل وتصوير

يشارك في المهرجان عدد كبير من الفنانين والكتاب ففي المعارض سيكون الجمهور على موعد مع فنان الكاريكاتير السوري الشهير علي فرزات في (معرض فردي 75 لوحة)، ومحمد الرومي: تصوير (معرض فردي 24 صورة)، وخالد الخاني (معرض فردي 23 لوحة)، وبهرام حاجو وإسماعيل الرفاعي (معرض ثنائي 10 لوحات)، ومعرض رسوم أطفال سوريين (34 عملا)، ومعرض لفنون الثورة (130 طابعا)، وملصقات مجموعة 'الشعب السوري عارف طريقه' 62 ملصقا، ولافتات وصور من الثورة 47 لافتة وصورة، وصحف الثورة 12). ومعرض مشترك لكل من حمد الحناوي (3 لوحات)، سلطان صعب (3 لوحات)، منيف عجاج، خالد عبد الواحد، خليل يونس، منيف عجاج، إيمان درويش، سهير سباعي، ماهر بارودي، ولاء الدكاك، فراس جبنجي.

كما يحيي عدد من الشعراء أمسيات شعرية وهم فرج بيرقدار، وهالا محمد، ومروان علي، وخلف علي الخلف، ولينا الطيبي، وعمر إدلبي، وحسان عزت، وسمر علوش، وحسين الشيخ، وحسام الدين محمد، ورشا عمران، وفواز قادري.

كما يشارك عدد من الروائيين والنقاد والقاصين في أمسيات ابداعية أو ندوات ومنهم: زكريا تامر، ومنهل السراج، وإسلام أبو شكير، ومها حسن، وياسين عبد اللطيف وفادي عزام... وآخرون.

ندوة حول المثقف والسلطة والثورة

ضمن فعاليات المهرجان تنعقد ندوة 'مثقفو سوريا والسلطة والثورة': لماذا انقسم المثقفون السوريون تجاه الثورة في سوريا؟ ولماذا وقف من وقف منهم مع الثورة؟ ولماذا صمت البعض؟ ولماذا عاداها البعض الثالث ووقف في صف النظام واعتبرها مؤامرة خارجية ضد سوريا؟ وهل فاجأت الثورة النخبة المثقفة في سوريا؟ ولماذا سماها البعض انتفاضة أو تمردًا أو احتجاجًا ولم يطلق عليها اسم ثورة؟ وهل استطاع النظام خلال أربعين عامًا تدجين المثقف السوري؟ وما هي أبرز المحطات التي واجه بها المثقفون السوريون السلطة واصطدموا بها؟ وما هو مستقبل الثورة بعد أربعة عشر شهرًا من عمرها؟ وإلى أي حد تمثل الثورة السورية المثقفين؟

يدير الندوة الدكتور عزمي بشارة، بمشاركة: زكريا تامر، خلدون الشمعة، نبيل المالح، علي فرزات، أسامة محمد، هيثم حقي، فارس الحلو وعدد من الكتاب والمثقفين والفنانين السورين والعرب من ضيوف المهرجان.

يقدم عدد من المشاركين شهادات تحت عنوان 'كنت هناك' عن التظاهرات والثورة في سوريا لريما فليحان، فارس الحلو، لويز عبد الكريم، رشا عمران، زينة حلاق، ناندا محمد، ستقدم برؤية مسرحية سينمائية في عرض الافتتاح.

كما يقدم شيخموس علي محاضرة مع عرض أفلام وصور ووثائق عن الانتهاكات التي تعرضت لها المواقع الأثرية، كقصف قلعة المضيق في حماة وقصف مبان أثرية في حمص ككنيسة أم الزنار وجامع كعب الأحبار وحمام الباشا والسوق الأثري والبيوت القديمة، وقصف موقع دير سنبل في جبل الزاوية وموقع البارة بإدلب، وقصف المسجد العمري في مدينة الحراك والمسجد العمري في درعا، وسرقة تمثال ذهبي في حماه من القرن الثامن قبل الميلاد في العصر الآرامي، إضافة إلى تعرض العديد من المواقع الأثرية للتخريب والنهب.

عروض سينمائية

المشاركة السينمائية تشهد مشاركات للمخرج أسامة محمد وفيلمه 'نجوم النهار'، والمخرج نبيل المالح وفيلمه 'ع الشام ع الشام' 65 دقيقة. والمخرجة هالة محمد بفيلمها 'رحلة إلى الذاكرة'، والمخرج هيثم حقي والفيلم الذي كتبه وأنتجه (الليل الطويل). والمصور محمد الرومي وفيلمه 'أزرق رمادي'، والمخرج ميار الرومي وفيلميه 'سينما صامتة' و'ست قصص عادية'، وثلاثة أفلام للمخرج الراحل عمر أميرلاي (الدجاج)، (الحياة اليومية في قرية سورية) و(طوفان البعث). وأفلام الثورة (تهريب 23 دقيقة ثورة، عباد الشمس، وعر، طريق القوافل، حماة 1982، 2011). وأفلام قصيرة للأخوين ملص.

عروض مسرحية

ويشتمل المهرجان على عروض مسرحية هي 'ممثلة' مونودراما من تأليف خلف علي الخلف، وتمثيل لويز عبد الكريم، 30 دقيقة. وعرض 'إيقاعات ثورية' شعر وموسيقى وغناء، من أداء حلا عمران وعود منعم عدوان، 45 دقيقة. وعرض 'أسماء الشهداء الحسنى' من أداء حلا عمران ونعمي عمران، 50 دقيقة. و'موعد بالسما' من أداء زينة حلاق، 40 دقيقة، وعرض 'الأيام السبعة للوقت' قصيدة ممسرحة لنص للشاعر نوري الجراح، من أداء تيامه الكاملي، وإخراج وليد قوتلي، 40 دقيقة. ومجموعة عروض قصيرة للأخوين ملص 'الثورة غدًا' تؤجل إلى البارحة' 30 دقيقة، 'الممثلان في ظل الثورة' 15 دقيقة، 'أنا وحالي في ظل الثورة' 10 دقائق.

الحفلات الغنائية

يغني مجموعة من الفنانين سوريا ومن الوطن لعربي أغاني الثورة والإنسان، ويحيي هذه الفعالية الفنانون أصالة نصري، وعلي الحجار وسميح شقير ونصير شمه، ومجد القاسم وخاطر ضوا وأحمد قعبور ويحيى حوا ووصفي المعصراني وسناء موسى.

يستقبل المهرجان مجموعة من الضيوف العرب المؤازرين للثورة السورية وبينهم نور الشريف، ونادرة عمران، وفردوس عبد الحميد ومحمد فاضل، وخالد يوسف وهاني فحص وأحمد فؤاد نجم، وطالب الرفاعي، وآخرون.

وأعلن في المؤتمر الصحافي عن افتتاح السوق الخيرية التي تقام في المبنى رقم 5 بالحي الثقافي بالدوحة ويشتمل على تذكارات عن الثورة السورية ومشغولات يدوية ويذهب ريع البيع لدعم العوائل المنكوبة. إضافة إلى هذا يقام معرض للمطبوعات يضم كتاب طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي، و'قصص من الثورة' لمجموعة من الناشطين، ودليل التظاهرة، ومجموعة طوابع وملصقات الثورة و كراس لرسومات علي فرزات.

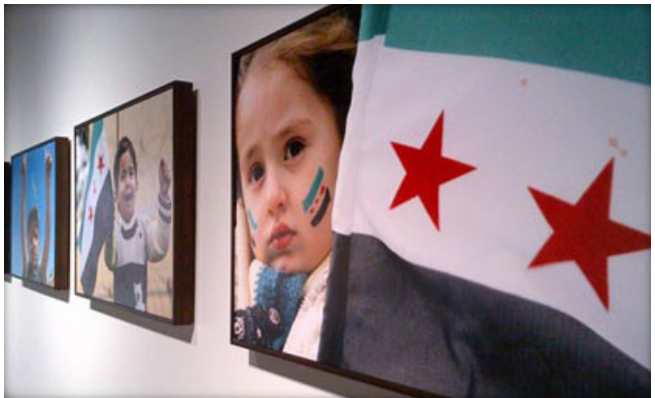

الثـــورة الســـورية:

ثقافة التغيير.. أم تغيير الثقافة

قراءة في موقف المثقف السوري من الثورة السورية

■ ياسر مرزوق

على وقع صور مجزرة "الحولة" المروعة، بات من الواضح أن سورية مقدمة على مرحلة خطيرة من الفوضى والحرب الأهلية الطائفية، هي حربٌ ستضعف النظام وتقوّض أسسه، ومن ثم ستسقطه في نهاية المطاف، بالتزامن مع سقوط البلد بكامله، وما جرى في مدينة طرابلس في شمال لبنان ليس إلا نموذجاً مصغراً لهذه الحرب، حيث تواصلت الاشتباكات المسلحة بين أبناء الطائفتين السنية والعلوية، وسقط فيها قتلى وجرحى من الجانبين، والحالة هذه يتحمل النظام المسؤولية الأكبر في انفجارها لمماطلته بالإصلاح الجذري، واختياره المضي في حملته العسكرية التي أصبحت أشبه بحراك في الرمال الدموية المتحركة التي قد تبتلع الجميع في حرب أهلية تستمر زمناً طويلاً فالنظام مُدجج بالسلاح والدعم الروسي والإيراني، والمعارضة مدججة بالضحايا وبالقتلى والكراهية المتصاعدة وبغليان المشاعر التي لم تعد ترى في الحياة إلا الثأر والخلاص من النظام، هذه الحرب قد تتطور إلى حرب إقليمية تجرّ معظم دول المنطقة إلى حُمم بركانها دون استثناء. وإذا كانت الحرب العثمانية الصفوية التي اندلعت عام 1514 قد استمرت قرناً، فكم ستستمر الحرب الإقليمية الطائفية الجديدة إذا ما اندلعت، وكيف ستكون صورة المنطقة أثناءها وبعدها....

إلا أنه ومهما كان الثمن فإن الأنظمة الديكتاتورية القمعية التي حكمت المنطقة طوال العقود الماضية بالحديد والنار ونهبت ثرواتها، وأغرقتها في التخلف، وحولتها إلى مزرعة خاصة لأبناء طوائفها أو المقربين منها، لا بد وأن تتغير بغض النظر عمن سيأتي بعدها، ولكن هذا التغيير يجب أن يكون من قبل الشعب، وبعيداً عن العسكرة وبالطرق السلمية ولنا في الشعوب المصرية والتونسية واليمنية قدوة حسنة، قد يكون هذا الكلام ورائحة البارود تخنق الأنفاس في أغلب المدن السورية تغريداً خارج السرب، لكن يبقى علينا المناداة بما يجب أن يكون لا بما هو كائن...

من هو المثقف

لماذا نجح النظام في جر الشارع إلى العسكرة وأين دور النخبة المثقفة في قيادة الشارع وتوجيهه في هذه الثورة الملحمية هو موضوع ملفنا اليوم، ولكي لا نتوه في غابة التعريفات المتشابكة لمفهوم المثقف و الثقافة علينا اختيار تعريف أكثر تحديداً بعيداً عن تلك الإضاءات الكلاسيكية التي لمعت خلال القرن العشرين ابتداءً من "ت. س. اليوت" في ملاحظاته عن تعريف الثقافة إلى "غرامشي" في حديثه النضالي عن "المثقف العضوي" و "سارتر" في نموذجه الوجودي الفعّال، فالمثقفون هم عادةً جماعة صغيرة تتألف من أولئك الذين يهتمون مباشرة بإنتاج الأفكار عن طريق الابتكار والنقل والنقد، ويلاحظ أن أفكارهم تمتد إلى نطاق أبعد من مجالاتهم المهنية، إذ ينشغلون بالأوضاع العامة للمجتمع، ولا يقتصرون على الإنتاج الأدبي أو المعرفي الذي يعنون به، فالثقافة لم تكن في يوم من الأيام مجموعة من المعارف وكفى إنما هي مشتملة على القيم والمثل والأخلاق التي تميز هذه الأمة عن غيرها، كما أنها تشتمل أيضاً على طرائق التفكير الخاصة بأفراد المجتمع كافة، ولما كان مفهوم الثقافة والمجتمع متلازمين تلازماً قوياً وظاهراً على مستوى النظرية والفعل الاجتماعي، فإنه غدا من غير الممكن تصور مجتمع من غير ثقافة أو ثقافة من غير مجتمع، فالاجتماع الإنساني يمثل خصوصية ثقافية وعندما تنعدم الثقافة يصبح من المستحيل الحديث عن المجتمع.

و يعرف هنري لاوشت الثقافة بقوله: "هي مجموعة من الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خلقي لأمة ما ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ فيها عقلية خاصة بتلك الأمة، تمتاز بها عمن سواها" وينظر المفكر المغاربي محمد عابد الجابري إلى المثقف على أنه: "في جوهره ناقد اجتماعي. إنه الشخص الذي همه أن يحدد ويحلل ويعمل، من خلال ذلك، على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية وأكثر عقلانية ".

دور المثقف

لو تصورنا مؤرخاً سورياً جلس بعد مئة عام، أي في مطالع القرن الثاني والعشرين يحاول أن يكشف حالة المجتمع السوري، خلال ثورته المباركة ودور المثقف السوري في هذه الثورة وفي خلق إرهاصاتها، أو عدمه، فإن أول ما سيواجهه هو الصعوبة البالغة في تحديد رموز هذه الثورة وعناصرها، جراء الغموض الذي يلف موقف المشهد الثقافي في سوريا ودوره على الأرض... فالثورة الفرنسية مثلاً استندت لأعمال ومؤلفات كبار المفكرين الفرنسيين على امتداد عشرات السنين، وكان منهم فولتير وديدرو ومونتسكيو وجان جاك روسو وغيرهم من عمالقة الثقافة والأدب والفلسفة. فكانت الثورة تعرف طريقها، وكان الثوار يسيرون في طريق واضحة المعالم. وحين رفعوا شعار الحرية والإخاء والمساواة كان الشعب الفرنسي مستوعباً ومدركاً لمعنى هذا الشعار، والأهم أن الجماهير تحركت كلها في ضوء هذا الفهم، ولم تتخبط في توجهاتها ولم تتناقض مصالحها إلى الحد الذي حدث في الثورة السورية. أي أن الثورة كانت متجانسة، وتتمثل أفكار عصر النهضة والتنوير، بعيدة عن الجمود والغموض والتجريد الذي شهدناه في الربيع العربي حيث هناك اتجاهات متناقضة، بل ومتصادمة أحياناً، بين التدين والعلمانية، والعروبة و الكردية، والإسلام والمسيحية واليسار واليمين، والإخوانية والسلفية والسلمية والعسكرة. وهناك عجز شبه كامل عن التوافق والتكامل والتسامح بين مكونات المجتمع الواحد، وهو ما شكل ورقة قوية في يد النظام الاستبدادي.

إن تحليل الثورة السورية ودور المثقفين فيها أمرٌ شديد الصعوبة، إلا أنه من السهولة بمكان اكتشاف الحالة البائسة التي عاشها المثقف في سوريا بل في العالم العربي، إذ تكفي مطالعة أخبار الاعتداء على علي فرزات، و على أسرة مالك جندلي، وتعرض خالد خليفة للضرب في أحد شوارع دمشق.. مي سكاف وفارس الحلو. والقائمة تطول لكنّ الأشد إيلاماً قد يكون اعتقال سلامة كيلة وترحيله من سوريا، في تغريبة ثانية لمواطن فلسطيني، ملفنا اليوم صرخةٌ في وجه اعتقال كلّ سلامة كيلة في أيّ مكان من وطننا العربيّ، الموحّد بالبؤس والمهانة!

ونحن هنا لا ننكر أن الديمقراطية هي حاضن أساسي للثقافة، ولكن غيابها لا يبرر غياب دور المثقف إلى هذا الحد في السنوات الماضية بالتحديد، ولا في الظرف الحالي الصعب. ولكي نكون منصفين فإن بعضهم وفي سنوات مضت قال كلمته ودفع الثمن غاليا. الآن وفي الظرف الاستثنائي الذي تمر به سورياً، والذي هو لحظة تاريخية كباقي اللحظات التي مرت بها سواء في سنوات التحرر من الاستعمار العثماني أو الفرنسي، أو اللحظات التي يتطلع فيها المجتمع إلى المثقف ليقوم بواجبه ودوره الإنقاذي، فالمثقفون هم من قادوا أبرز التحولات في بلاد الشام أواخر القرن التاسع عشر ومراحل التحرر من الاحتلال العثماني، كما كان لهم الدور الأكبر في الحياة السياسية السورية في الفترة الممتدة ما بين دخول الجيش العربي إلى سوريا عام 1918 مروراً بمرحلة الانتداب الفرنسي ثم الاستقلال، والتي توزع فيها حضور المثقفين بين دور المناضل والسياسي، حيث لعب بعض المثقفين دور المناضل في مواجهة الانتداب الفرنسي، فيما لعب آخرون دور رجل السياسة في التأسيس للحياة العامة الجديدة، فيما دمج بعض المثقفين بين المناضل والسياسي، وهذا ما فعله عبد الرحمن الشهبندر الذي لعب دوراً مزدوجاً في الحياة العامة السورية مناضلاً في ثورة سوريا الكبرى 1927-1925 وسياسياً أسس وقاد حزب الشعب 1924، وكان في ذلك واحداً من المثقفين الذين عملوا على تطوير الحياة الفكرية والسياسية، ومنهم ميشيل عفلق الذي أسس حزب البعث العربي عام 1943، وكذلك أنطون سعادة الذي أسس الحزب السوري القومي الاجتماعي 1932، ومصطفى السباعي مؤسس جماعة الإخوان المسلمين السورية، التي ظهرت تشكيلاتها الأولى عام 1935.

إلا أن استيلاء البعث على السلطة في سوريا عام 1963، وما تبعه من إقامة نظام الحزب الواحد وعسكرة المجتمع دون اكتراث بالتعددية الحزبية وبالبرلمان والانتخابات الديمقراطية، مستعينا بالعسكريين من الأكثرية الريفية الذين ألحقوا المثقفين بصفوفهم، أو قاموا بإقصائهم، مما ولد نزعة نقدية في النتاج الثقافي والفكري والسياسي السوري في الستينيات وبداية السبعينيات عبر إنتاج مثقفين مثل إلياس مرقص وياسين الحافظ سامي الجندي، قبل أن تؤول الحالة إلى صمت المثقفين وغيابهم طوال عقدين ونصف بدأت في أواسط السبعينيات في ظل أزمة عامة شاملة

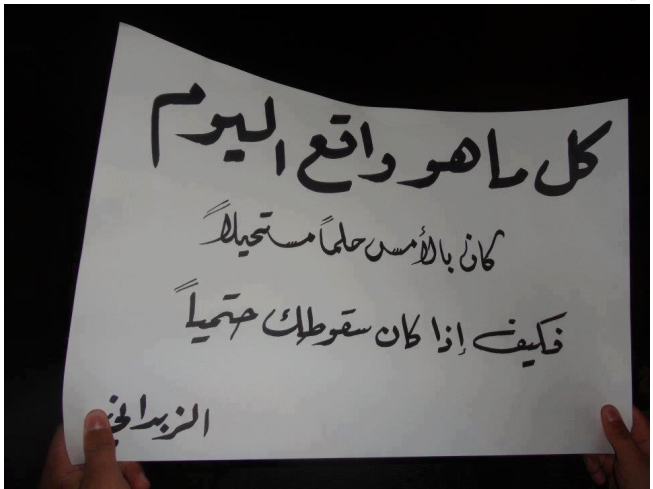

في الحياة السورية، كان انهيار الحياة الثقافية وتدهور حضور ودور المثقف بين تعبيراتها البارزة. وتحول طيف من المثقفين إلى مثقفي سلطة زادوا من غي الطاغية وعملوا على تجميله وترويجه، وعن الصحفي اللبناني علي حمادة ننقل: "هكذا ينتهي الأمر بالطغاة والقتلة في غروبهم، لا يعود يربطهم بالحقيقة أكثر مما يقال لهم في غرفٍ مغلقة تتم فيها تصفية كل الحقائق، هكذا انتهى الأمر بكبار الطغاة مثل صدام ومعمر وقبلهما تشاوسيسكو، إذ عاشوا حتى آخر اللحظات وفي ظنهم أن الشعب يحبهم ويريدهم، وان قتل وظلم الطغيان يصيب فئة ضالة ليس إلا"... وعن الكاتب "كنعان مكية" ومن كتابه "القسوة والصمت" صفحة (235) ننقل: "إن زعماء أمثال صدام حسين يعيشون على صمت المثقفين العرب تجاه القسوة، بل إن أمثال هؤلاء الزعماء هم نتاج ذلك الصمت ".

لكن حالة الارتماء في أحضان السلطة لم تكن حالة عامة، بل صمد طيفٌ واسع من المثقفين السوريين لم يغيبوا يوماً عن كل الأحداث التي مرت بوطنهم والوطن العربي، حتى وإن كان ذلك من خلال مجرد بيانات، في وجه القبضة الأمنية التي أطبقت على سوريا لعقود، وبقي حاضراً في كل الأزمات والمنعطفات التي مرّت بها سورية، ابتداءً من بيان المثقفين الشهير عند مذبحة تل الزعتر في أواخر سبعينات القرن الماضي، إلى لقائهم العاصف مع أعضاء قيادة الجبهة الوطنية التقدمية أيام الصراع المسلح بين السلطة السورية والإخوان المسلمين، إلى بيانهم ضد فتوى الخميني بقتل سلمان رشدي، والذي أغضب السلطة السورية حينها، إلى بيانهم ضد المشاركة في التحالف الدولي للحرب على العراق، وصولاً إلى بيان الـ99 الشهير الذي جاء كإعلان لانطلاقة ربيع دمشق عام 2000، وما تلاه بعد هذا التاريخ من بيانات، كما أنه ووسط هذه الحالة من التعقيدات والصراعات، أخذ يتبلور توجه جديد داخل الحراك السوري لإقامة تجمعات مدنية وسياسية وحقوقية، ولدت في إطارها "لجان إحياء المجتمع المدني"، التي ضمت حشداً من مثقفين لهم جذور مختلفة، و"التجمع من أجل الديمقراطية والوحدة" الذي شكله نشطاء من خلفية ناصرية، كما أطلق النائب المعارض رياض سيف وثيقة "حركة السلم الاجتماعي" قبل أن تستعيد السلطة سياستها القائمة على القبضة الأمنية مجدداً لإنهاء ما سمي بمرحلة ربيع دمشق عبر شن حملة اعتقالات وسط حملة إعلامية دعائية شرسة ضد المثقفين والنشطاء استمرت طوال حكم الأسد الابن.

مظاهرة المثقفين

في مطالع الثورة السورية، لنا أن نذكر مظاهرة المثقفين في حي الميدان الدمشقي العريق، والتي أتت رداً على ادعاءات النظام بمندسين وتكفيريين ومسلحين بين الجموع، والتي عمل النظام على عدم تكرارها بكل السبل، ضمن دأبه الشديد على إخفاء الوجه المدني والسلمي للثورة، ففي مظاهرة المثقفين في حي الميدان بدا الأمر وكأن دمشق تتظاهر دفاعاً عن وجودها الثقافي الخلاق عن هامشها الأدبي الفني، عن حضورها المعنوي، تتظاهر ضد النظام الذي وقف ضد المعاني التي تمنح دمشق قيمتها وألقها، دمشق التي عانت من الظلم والإجحاف الثقافي، حيث وصل التمادي الرسمي إلى حده الأقصى، فالسلطة منقضة بقضها وقضيضها بأحزابها ورجالاتها وسلطاتها إلى تناتش الخيرات والمصالح، في حين أن مكوناتها الثقافية تواجه خطر الموت البطيء في مواجهة عاصفة الإهمال والتناسي والازدراء، حيث أضحت الحركة الإبداعية في سوريا تحت وطأة الفساد وتغول رأس المال، وابتدعت ثقافة تجميلية، دون الاهتمام ببنية تحتية وقاعدة ثقافية حقيقية..... أتت مظاهرة الميدان كرجع الصدى لاعتصامات "حركة كفاية" في مصر واحتجاجات النقابات في الأردن ولبنان وإضرابات المعلمين في اليمن، عن الأكاديمي "مارك لينش" ومن كتابه "الانتفاضة العربية" ننقل: "إن الحركات الاحتجاجية في العالم العربي ظاهرة واحدة تنطلق من "الهوية المشتركة" للعرب ومن المساحة السياسية الموحدة للناشطين الذين ينظرون إلى الثورات في المنطقة على أنها جزء من سردية مشتركة، ورؤية مشتركة للأبطال والأوغاد ".

مواقف المثقفين

ومع اشتداد عود الثورة وطول أمدها، انقسم المثقفون بين أبواق للنظام يحفل بها الإعلام الرسمي، ومثقفون آثروا الهجرة أو هُجروا تحفل بهم الفضائيات العربية، وقسمٌ ثالث ابتعد عن الأضواء واختار الوقوف بين الجماهير للمناداة بالحرية للجميع. متجاوزاً فكرة أن الثورات العربية لم تكن مؤدلجة، فالجماهير ثارت فقط لإزالة الأنظمة السياسية القائمة ولخلق أنظمة يتم إقامتها عبر صناديق الاقتراع دونما أساس فكري نابع من الخصوصية الثقافية للشعوب الثائرة. ومتجاوزاً أيضاً لفكرة أن المثقفين العرب لم يلعبوا أي دور أساسي في عملية تحريك الشعوب العربية، ناهيك عن قيادتها خلال مراحل الثورات المختلفة، فأمام هذا الزحف الجماهيري غير المسبوق في التاريخ العربي وتجاوز خطاب "جيل الفيس بوك" لشعارات وأفكار القلة القليلة من المثقفين السوريين الذين وإن رفضوا الدخول في عملية التزاحم على إلقاء "خطابات العروش" التي ألفتها وامتهنتها أكثرية من نحسبهم من رجال الفكر، إلا أنهم فشلوا في اتخاذ مواقف وفي تبني خطابات قادرة على توجيه الجماهير وقيادتها، فانضم المثقف السوري للعامة بدلاً من أن يكون هو القائد أو المرشد لهذه الجماهير من منطلق أن الحرية والديمقراطية هي التي ستعيد للمثقف دوره بعد عقودٍ من التهميش.

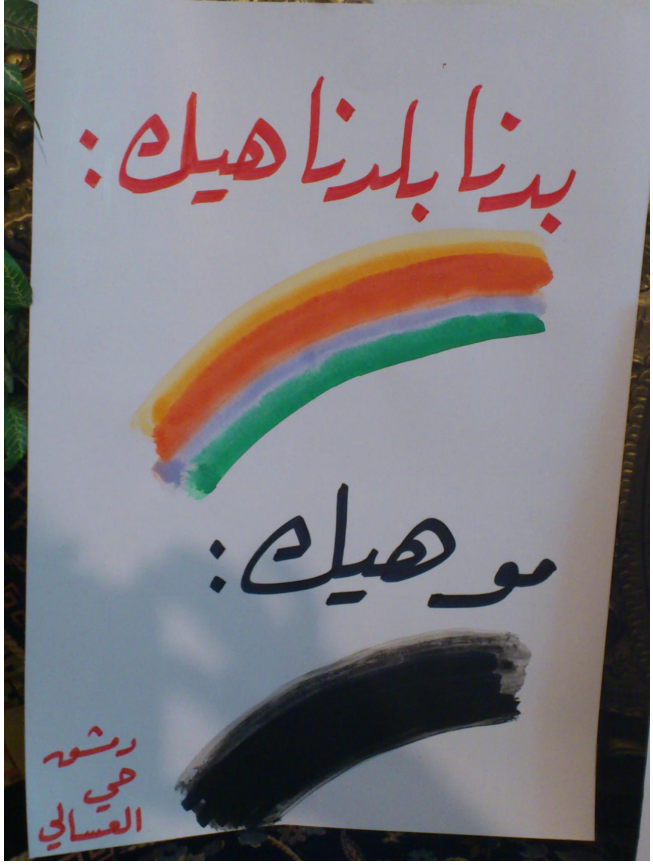

يضاف للتصنيف السابق نموذجٌ رابع لعب وللأسف دوراً سلبياً في هذه الثورة. فقد غصت شاشات التلفزيون بالمثقفين الذين شككوا في نجاح هذه الثورة وفي نتائجها وقبلوا بمهمة الدفاع عن الشيطان في عملية تجسيد صارخ للجدلية التاريخية المتعلقة بعلاقة المثقف بالسلطة. حتى أن بعضهم ينتمون للفئة التي طالما عُرفت بمقارعة الطغاة، إلا أنهم لم يتمكنوا من اجتياز اختبار الربيع العربي، فابتعادهم عن نبض الشارع دعاهم إلى مطالبة الجماهير الثائرة بالانتحار بالجملة وذلك بإصرارهم على ضرورة مواجهة الدبابات بصدور عارية في عملية يصعب التصديق أن تصدر من طبقة مثقفة لطالما وُصفت بالعقلانية، وعندما رفضت الجماهير هذا المنطق الشاذ، تبرأ هذا النوع من المثقفين من الثورة التي تحولت في نظرهم إلى مجرد تمرد مسلح وتحول الثوار إلى مجرد مليشيات وفي أحسن الأحوال ثوار ولكن ثوار الأجنبي أو الناتو وكأن دور المثقف محصورٌ بين الانصياع للجماعة أو التعالي عليها بمثل هذه الخطابات الطوباوية، متناسين أن دور المثقف الحقيقي هو الانخراط في الجماعة وتوجيهها من الداخل، والعمل على تقنين خياراتها، والحد من انجرافها باتجاه الأحقاد والغرائز.

ونموذج أخير ارتأى العمل بالسياسة مباشرةً والدكتور "برهان غليون" مثال واضح عن هذه التجربة التي لها مالها وعليها ما عليها، وفي تجارب العالم المتقدم والمتخلف على حد سواء نماذج عن تحولات المثقف في وصوله للسلطة، بيد أن الإشكاليات التي واجهها مسرحي وشاعر ومبدع كبير هو "فاتسلاف هافل"، لدى تسلمه السلطة في بلاده تشيكيا بعد انهيار الاشتراكية فيها ليست بمثل الحدة التي يواجهها مثقفون عرب يئنون تحت وقع "التأخر" عقوداً طويلة.

وبعيداً عن دور المثقف في الشارع تجدر الإشارة إلى عشرات الكتب والمطبوعات التي تناولت موضوع الربيع العربي عموماً وصدرت عن دور نشر غربية ومؤلفين غربيين لعل أهمها على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "مارك لينش" "الانتفاضة العربية" وكتاب "جان بيار جوليو"، "الثورة العربية 10 دروس"، وفانسان جيسار، "حوار مطول مع المنصف المرزوقي الرئيس الحالي لتونس" والقائمة تطول بينما يقف المثقف العربي حائراً منتظراً ترجيح إحدى الكفتين ليضمن لإنتاجه فرصة الطباعة والنشر، وليضمن لنفسه السلامة من الاعتقال أو النفي... نحن والحالة هذه أحوج ما نكون لثورة، لكي لا يبقى المثقف يعاين تخلفه وأسئلة نهضته من جهة وتغول الآخر الذي، هو واحد من أسباب تثبيت هذا التخلف ويقع في المأزق ذاته، فإذ يبدو الآخر سبباً للتخلف يغدو أيضاً بمثابة المخلص...

نحو إعادة ترتيب الثورة السورية

■ مؤمن بسيسو

الجرح النازف في سوريا لا يزال مفتوحا، والنظام الدموي المجرم لا يزال يصب حممه على رؤوس الأبرياء ويراهن على إسقاط الثورة عبر بوابة القهر والعربدة والإجرام. ومع إشراقة كل صباح تهفو قلوبنا إلى المظلومين في سوريا الإباء، وترنو أبصارنا إلى الهبة الشعبية التي تتطور وتتسع دوائرها يوما بعد يوم رغم قمع ودموية وإرهاب نظام الطاغية الأسد وزبانيته المجرمين.

قبل أيام أثلج قلوبنا النبأ التي أعلنته إحدى مجموعات الثورة السورية باستهداف خلية الأزمة التي تدير معركة النظام الدموي ضد الشعب السوري، وضرب النواة المجرمة التي ترسم مخططات النظام وتشرف على تنفيذها في وجه الشعب السوري وثورته الباسلة.

وأيا كانت التفاصيل المرتبطة بالخبر، ومدى دقة أو صحة خبر استهداف رؤوس الظلم والإجرام الذين أوغلوا في دماء السوريين الأبرياء، فإن ما جرى يعد تطورا بالغ الأهمية لجهة التأكيد على ضرورة العمل الثوري، رأسيا وأفقيا، على السواء، وإعادة ترتيبه داخليا وخارجيا، وخلق الروافد الإعلامية والثقافية العربية الداعمة له خلال المرحلة المقبلة.

ترتيب الثورة داخلياً

تحتاج الثورة السورية، أيما احتياج، إلى ترتيب بناها ومجموعاتها العسكرية تحت لواء واحد ومظلة موحدة، والدفع باتجاه تهيئة عناصرها وكوادرها العسكرية لتنفيذ خطط وأعمال نوعية تستهدف ضرب رؤوس النظام والإثخان في مفاصله العسكرية والأمنية التي تنشر الموت والخراب والدمار في ربوع الوطن السوري العزيز.

لم تعد هناك فائدة عملية من استمرار بكاء وعويل البعض وإدامة تنظيرهم لسلمية الثورة وضرورة تنقيتها من البعد العسكري، إذ أن التطورات المتسارعة التي يشهدها الواقع السوري، وحجم فجور وإجرام النظام يفرض العمل على مسارين متوازيين، أولهما دوام سلمية الثورة الشعبية، والآخر تفعيل العمل العسكري وتركيزه وتطوير آلياته كي يغدو أكثر دقة وإيلاما وأقرب إلى تحقيق الأولويات المرسومة والأهداف الموضوعة.

في مسارها الأول تسير الثورة وفق نسق مطرد من النجاح، وتتلمّس مفاعيل النجاح يوما إثر آخر، لكنها تحتاج في مسارها الثاني إلى كثير من الجهد والاجتهاد لتصويب عملها العسكري وتركيزه على البؤر والمفاصل الأكثر تأثيرا في النظام الأسدي، كي تنجح في الفكاك من فخ الاستنزاف الذي تستدرجها إليه قوى النظام، والتمكن من إنهاك رأس ومفاصل النظام بين يدي إسقاطه في أقرب وقت ممكن.

المهمة ليست سهلة، وتستلزم أولا توحيد الخلايا والمجموعات العسكرية المقاومة تحت قيادة واحدة، ومن ثم رسم رؤية ذات بعدين: تكتيكي وإستراتيجي حول كيفية ضرب ومواجهة وإسقاط النظام، متوسلة بالتخطيط الدقيق لأعمال عسكرية نوعية تراعي الابتعاد قدر الإمكان عن الممارسة التقليدية والمواجهة المفتوحة.

إن ترتيب شؤون الثورة السورية داخليا، بمساريها المتوازيين: سلميا وعسكريا، يشكل حجر الزاوية على طريق إسقاط النظام الأسدي المجرم، والعنصر الدافع الأهم نحو بلورة جبهة خارجية فعالة مساندة للنضال الداخلي.

ترتيب الثورة خارجياً

إن متطلبات الثورة السورية في الداخل يرافقها أزمة على مستوى فصائل ومجالس وهيئات الثورة في الخارج التي تبدو أشد ما تكون حاجة اليوم إلى إعادة صياغة على مستوى البنى والهياكل والبرامج السياسية والرؤى التنسيقية كي تلاحق مستجدات الثورة السورية الشعبية في الداخل، ولا تبقى رهينة الشعارات المجردة والاختلافات العقيمة التي تدور خارج الزمن في الوقت الذي تمضي فيه الثورة الشعبية إلى الأمام دون أي التفات إلى الوراء.

باختصار، فإن تجليات الثورة السورية على الأرض لا يكافئها انعكاس مواز لجهد الفصائل والمجالس والهيئات المنضوية تحت إطار الثورة في الخارج لجهة استثمار الدم المهراق والتضحيات الفياضة المبذولة في الداخل، بما يبلور قوة سورية تنظيمية متماسكة تستطيع التأثير في الاتجاهات ومجريات المواقف السياسية ذات العلاقة بالوضع السوري من جهة، وإقناع بقية الشرائح الشعبية السورية بالانضمام والمشاركة في فعاليات الثورة من جهة أخرى.

حتى اللحظة لم تقدم فصائل ومجالس وهيئات الثورة السورية في الخارج أداء مقنعا يرقى إلى مستوى الاحتياجات التاريخية المطلوبة على طريق إنجاح الثورة وإضعاف قوة وتماسك النظام الذي يجترح التذاكي السياسي المفضوح، ويعمد إلى الهروب إلى الأمام عبر ارتكاب مزيد من الجرائم، ويحاول التأقلم مع تقلبات المرحلة ومستجدات المواقف الدولية.

ومن هنا فإن إعادة ترتيب وإصلاح الواقع الداخلي لبنى وهياكل الثورة السورية يشكل المدخل الأساس لإعادة الاعتبار للثورة السورية ككل، وحمل العالم والمجتمع الدولي على تقويم اعوجاج مواقفه تجاه الدماء السورية النازفة، وإجباره على بلورة مواقف حقيقية وإجراءات ضاغطة تتجاوز دائرة الصمت على جرائم النظام إلى دائرة حصاره والضغط المباشر عليه وسلب مقومات بقائه السياسي والاقتصادي.

الروافد الإعلامية

يشكل الإعلام طرفا أساسيا في الثورة السورية الشعبية في مواجهة قهر وجبروت واستبداد النظام.

ومنذ اندلاع شرارة الثورة في سوريا لعبت بعض وسائل الإعلام دورا رياديا في إسناد الثورة ودعم المطالب المشروعة للشعب السوري وفضح الجرائم التي يقترفها النظام.

لكن الدور الإعلامي العربي تجاه الثورة السورية بشكل عام ظل قاصرا عن نصرة الشعب السوري، وبقي يراوح في إطار النقل التقليدي للأخبار بعيدا عن أي محاولة لصناعة إعلام قوي وضاغط يسهم في التأثير على صناع القرار الدولي وتحشيد الرأي العام عربيا ودوليا إلى جانب الشعب السوري في مواجهة بطش وجرائم النظام.

يخطئ أهل الإعلام وسدنته حين يعتقدون أن أخلاقيات ومواثيق شرف المهنة تفرض قيودا وحدودا على تغطياتهم الإعلامية وتحصرها في مجرد النقل الأوتوماتيكي للأحداث، فالإعلام -حسب المفهوم العصري الحديث- بات يمارس وظيفة اجتماعية وسياسية واضحة، ويتولى خلق وصناعة ميول واتجاهات الرأي العام، والترويج للقيم والمفاهيم في المجتمع.

لذا، فإن المهام والمسؤوليات المناطة بوسائل الإعلام العربية ينبغي أن ترتقي إلى مستوى اللحظة التاريخية التي تعيشها الشعوب العربية التي تشق طريقها للخلاص من نير الظلم والدكتاتورية والاستبداد، وأن تنسجم مع قيم الحرية والعدالة والكرامة التي تشكل روح وقوام الوجود الإنساني، وألا تتمنطق بمعاذير باهتة وحجج ساقطة لتبرير تخلفها عن ركب التغيير السائر وتقاعسها عن تقديم النصرة المطلوبة للشعوب العربية الثائرة التي تدفع دمها ثمنا لتحررها وصناعة مستقبلها، وعلى رأسها الشعب السوري الشقيق.

الرافد الإعلامي العربي يشكل أحد عناصر الدفع الأساسية باتجاه دعم وإسناد الثورة السورية، وها هنا فإن الإعلام العربي اليوم على شفا اختبار عسير وامتحان صعب لجهة إعادة صوغ رؤيته ومعالجاته للشأن السوري، وتقديم نموذج إعلامي عربي مشرق ينسجم مع الوظيفة الأهم للإعلام ويتماهى مع القيم الأخلاقية والعروبية الكبرى.

الروافد الثقافية

كثيرا ما جاهرنا بأن ضرورات الكثير من الساسة والحزبيين العرب التي تمنعهم من المجاهرة بالرأي البواح والموقف الصريح إزاء الثورة السورية لا تُلزم خيارات المثقفين، فالمثقف يجب أن ينأى بنفسه وروحه عن التماهي مع أجندة السياسي، والدوران معه حيثما دار، والارتحال معه أينما ارتحل، وأن يحتفظ لنفسه بحق التعبير عن ضمير الأمة وقيمها الناصعة بكل شفافية ووضوح، ودون وجل أو تردد أو تقصير.

وهناك رأيان يتنازعان مشهد تقييم مواقف الساسة العرب إزاء الثورة السورية، فهناك من يلتمس العذر للسياسيين ولا ينكر عليهم موقفهم الصامت الذي

ينطلق من اعتبارات مصلحية بحتة، فللسياسة ظروفها وللضرورة أحكام كما يقولون، وهناك من يعتقد أن قيم الحرية والكرامة والعدالة هي قيم مطلقة وثوابت إستراتيجية ولا يجوز أن تتعرض للخدش أو الامتهان بأي حال من الأحوال، وبالتالي فإن على السياسيين أن ينسجموا معها ويحترموا إرادة الشعوب وخياراتها في تحديد مصيرها ومستقبلها.

لكن أحدا لا يستسيغ تبرير تقاعس المثقفين العرب بشكل عام عن التفاعل الإيجابي مع مستجدات الوضع السوري الذي تنطق أحداثه كل يوم بفداحة الجرم وعظم المصاب الذي ابتلي به الشعب السوري على إيقاع مواقف وجهود دولية باهتة ومحاولات خبيثة من لدن بعض الدول للتغطية السياسية على جرائم نظام الأسد بعيدا عن أية قيمة إنسانية أو مبدأ أخلاقي أو ميثاق قانوني.

معظم المثقفين العرب –على اختلاف أطيافهم وتلاوينهم- يعيشون سلبية مفرطة وركودا عجيبا إزاء دعم الثورة السورية إلا من رحم الله، فهؤلاء لا تتجاوز مساهماتهم حدود وإطارات المعالجة التقليدية في أفضل الأحوال، وتتملكهم شحنات واسعة من الإحباط الذي يُقعدهم عن التفكير المبدع واشتقاق الصيغ والوسائل الفعالة لاستثمار الواقع المحيط بما ينعكس، أثرا وفائدة، على الشعب السوري وثورته المباركة.

من المعيب أن تتحرك الثورة السورية من حولنا ولا تجد لها صدى حقيقيا في أوساط مثقفينا، اللهم إن كان البعض يعتقد أن تعليقه أو حديثه بكلمة هنا أو هناك قد أسقط فروض الواجب التي تحاصر روحه وتخنق كيانه ما لم يلبّ متطلباتها ويؤدي استحقاقاتها.

ننشد اليوم حراكا ثقافيا تتأجج اتجاهات عمله، طولا وعرضا، في تفاعل مميز مع ربيع الثورات العربية، وعلى رأسها الثورة السورية، التي تُهتك عرى الإنسانية فيها لحظة بلحظة.

نريد حراكا حقيقيا ذا أبعاد شاملة ينتظم الكثير من الفعاليات والمعالجات المنظمة التي تقوم بحق الدين والعروبة والجوار واللغة والتاريخ من جهة، ومن جهة أخرى تستثمر الموجات الارتدادية للربيع العربي الثائر سوريا عبر حراك مجتمعي، يقوده المثقفون، وينفض عن كاهله غبار السلبية والتواكل، وينزع عن كيانه ارتكاس الروح وهبوط الإرادة والسير مع تيار الواقع واتجاهاته البائسة.

الحراك المطلوب إيجابي من الألف إلى الياء، ولا يستهدف التحريض أو الزعيق في الفضاء بمعزل عن أهداف مرسومة وخطة واضحة، فنحن لا نتحرى سوى تحقيق القيم والثوابت الكبرى كالحرية والعدالة والكرامة، ولا ننشد تحقيقها إلا بوسائل مشروعة وأساليب بناءة تضبط بوصلتها دوما في الاتجاه الصحيح دون أي زيغ أو انحرافات عن سلامة ومقاصد الطريق.

المثقفون العرب يقفون اليوم على مفترق طرق حاسم، فهل يستعيدون روح العمل والحياة والمبادرة من جديد، أم يواصلون بكائياتهم على أطلال الواقع العربي، فيما تتجاوزهم الأحداث وتلقي بهم وراء حائط التاريخ؟!

خلاصة القول.. لا يزال أمام الثورة السورية الكثير من المهام والاحتياجات كي تنجح في مواجهة نظام دموي ذي إسناد وتغطية سياسية خارجية، وأولى تلك المهام إعادة ترتيب شؤون الثورة، بنى وبرامج، من جديد، وتأمين قوى وروافد الدفع الإعلامية والثقافية المطلوبة خلال المرحلة المقبلة.

عن: الجزيرة المعرفة

وحدة المعارضة السورية

■ عمر كوش

- تطرح مسألة وحدة المعارضة السورية بوصفها مطلبا لمعظم القوى الدولية والعربية الفاعلة، وتضعه شرطا ضروريا للخروج من الأزمة وتحقيق طموحات الشعب السوري، فيما يعتبر بعض المعارضين والمتابعين للشأن السوري أن هذا المطلب ترفعه بعض تلك القوى كي تبرّر في غالب الأحيان ترددها في الانخراط بقوة في حل الأزمة السورية، لكنه قبل ذلك يشكل أحد مطالب الحراك الثوري السوري، الذي سبق وأن رفع شعار «وحدة المعارضة» في وقت مبكر من حراكه الاحتجاجي، بهدف دعمه وتمكينه من تحقيق مطالبه، وإيصال صوته إلى المجتمع الدولي. وقد بذلت مساع عديدة في هذا المجال، لعل آخرها محاولات كل من وزير الخارجية المصري محمد كامل عمرو، ونبيل العربي الأمين العام للجامعة العربية، الرامية إلى عقد مؤتمر جامع في القاهرة، يضم مختلف أطياف المعارضة السورية في منتصف شهر مايو تحت مظلة الجامعة العربية.

ولا شك في أن هدف توحيد صفوف المعارضة السورية لا يقصد منه تجميعها في هيكل تنظيم واحد، بل التنسيق في المواقف والتوافق في الآراء لرسم ملامح سوريا الجديدة، والأهم توحيد الجهود للخروج بمواقف سياسية موحدة، ترقى إلى مستوى تطلعات الشعب السوري في التغيير الديمقراطي، وتساعده على وقف نزيف الدم المستمر منذ أربعة عشر شهر.

وتضم قوى المعارضة السورية شخصيات معارضة تقليدية، جاءت من أحزاب المعارضة السورية التقليدية، إلى جانب معارضين آخرين، من مثقفين مستقلين وناشطين وحقوقيين ومهتمين بالشأن العام، لكن الحراك الاحتجاجي للثورة السورية أفرز أشكالا جديدة من التنظيم، جسدتها التنسيقيات التي انتشرت في مختلف أحياء المدن والبلدات والقرى السورية، وأثبتت أنها الشكل التنظيمي المناسب للحراك الاحتجاجي، والفاعل ميدانيا، وشكلت البديل العملي لمختلف الأحزاب والتنظيمات السياسية المعارضة، حيث تجاوزتها كثيرا في العمل على الأرض، من جهة القدرة على التنظيم والتحشيد واستخدام التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة، التي تفتقر إلى توظيفها واستخدامها معظم الأحزاب السياسية السورية.

والواقع هو أن أحزاب المعارضة التقليدية السورية، بمختلف أطيافها الليبرالية واليسارية والقومية والإسلامية، وجدت نفسها في حال لا تحسد عليها منذ بداية الثورة، كونها لم تشارك في اندلاع شرارتها، وترددت – في البداية – في المشاركة بفعالياتها. لكن مع ازدياد زخم الحراك الاحتجاجي، الذي اشتدّ مع تزايد نزيف دماء المحتجين، وجدت قيادات المعارضة السياسية نفسها، وكأن القطار قد فاتها، وأنها كانت تنتظر في المحطة الخاطئة، التي غادرها، فراحت تحث الخطى كي تلحق بركب الانتفاضة، وتستعجل عقد اللقاءات والمؤتمرات، في الداخل والخارج، وبشكل ينمّ عن افتقارها للخبرة السياسية ولوضوح الرؤية. إضافة إلى أنها غير قادرة على مجاراة ما يطالب به المنتفضون، كونه يحدّ من قدرتها على القيام بدورها السياسي، وعلى الإمساك بزمام المبادرة السياسية، فضلا عن أنها لم تتمكن من نسج علاقات وروابط كافية مع مختلف التنسيقيات والقوى التي تتحرك على الأرض.

وفي سياق تحولات المشهد السياسي السوري، نشأت تشكيلات وتكوينات مدنية وسياسية معارضة عديدة، تضم في الغالب مثقفين مستقلين وناشطين، ومعظمها ذات فعالية محدودة في المشهد السياسي العام. كما ظهرت تشكيلات معارضة قريبة من النظام، ومدعومة من طرفه، بل وتزاود على أطروحاته. لكن أهم ما تمخض عنه المشهد السياسي المعارض هو تشكيل المجلس الوطني السوري، الذي يضم قوى وأحزاب سياسية وتنسيقيات فاعلة على الأرض، إلى جانب شخصيات فكرية وسياسية مستقلة، وتشكيل «هيئة التنسيق الوطني للتغيير الديمقراطي في سوريا»، وتضم أحزابا وقوى تقليدية، وبعض الشخصيات المعارضة المستقلة.

ولم تنضم هيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الديمقراطي إلى المجلس الوطني السوري، نظرا لعدة أسباب موضوعية وشخصية. لكن عدم انضمامها أعلن عن انقسام فكري وسياسي واضح في المعارضة السورية، ما بين الأحزاب والقوى والشخصيات الليبرالية والإسلامية، التي تشكل منها المجلس الوطني، وبين الأحزاب والقوى والشخصيات القومية والسياسية، التي انضوت في هيئة التنسيق، بمعنى أن الانقسام بني – بشكل عام – على خلفيات وأسس سياسية وإيديولوجية، ما بين الليبراليين والإسلاميين من جهة أولى، وبين القوميين وبقايا اليساريين من جهة ثانية.

ويبدو أن هدف توحيد المعارضة يجسده قدرتها على التوصل إلى رؤية مشتركة وتشكيل قطب ديموقراطي، يوحد الجهود وينسق ويتواصل مع قوى الحراك، ويرتب العلاقات مع القوى العربية والدولية. وبالتالي ليست المشكلة في تنوع الأطر السياسية للمعارضة السورية، ولا في الاختلافات الأيديولوجية، لكن أسباباً عديدة تعرقل الوصول إليه، لعل أهمها حالة العطالة السياسية، الموروثة من عقود انتفاء السياسة ومصادرتها في سوريا، والتي طبعت العمل السياسي المعارض بطابع من الهامشية، وشوهت الفعل السياسي، بوصفه ممارسة تهدف إلى تغيير الواقع، وليس موقفاً أخلاقياً أو مبدئياً فقط، الأمر الذي يفسر تعلق بعض المعارضين وتركيزهم على المواقف المبدئية فقط، مع غياب مقتضيات العقل السياسي. يضاف إلى ذلك غياب برنامج تغيير واضح لدى القوى والأحزاب التقليدية، وتركيزها على الإرث الشخصي لبعض رموزها التاريخيين، الذين تحولوا إلى ما يشبه المستحاثات السياسية، واطمأنوا إلى تاريخهم الذاتي، بل وحولوا السياسة إلى استثمار شخصاني. يضاف إلى ذلك لجوء بعض الشخصيات المعارضة إلى سياسة تسجيل المواقف والنقاط، وسوق الاتهامات، وهدر الجهود، وتسميم الأجواء، والتركيز على شخصنة الخلافات، بما يزيد من التنابذ والفرقة

صحيفة عمان 13 / 5 / 2012

اغتيـــال الوطـــن

■ خالد كنفاني

آخر الكلام سيكون هذه المرة في أوله..
يقول نزار قباني:

ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي
حوافر الخيل داست عندنا الأدبا

تختنق كلماتنا وتتيه وسط بحار الدماء وتحت أصوات المدافع، تختنق الحروف في مجاري حلوقنا وعلى أطراف أقلامنا التي جف حبرها وخبا بريقها. من لم يمت بعد في سوريا يموت كل يوم في نفسه وروحه وقلبه على وقع الإجرام المتزايد يوماً بعد يوم.

تتساءل إحدى الناشطات خارج سوريا: "لم نعد نرى أي معنى للكلام، صارت الكلمات تتبعثر في الهواء ولا أحد يسمعنا، ويبدو أن الأفضل العودة للداخل"، ويا له من مأزق إنساني وأخلاقي ذلك الذي يحياه الجميع اليوم داخل سوريا وخارجها. هناك الحياديون وهم كثر وهناك الثائرون وهم في ازدياد وهناك من لا يزال على تأييده للنظام كنعامة تدفن رأسها في الرمال لتقول مرة: "خلصت" ومرة: "ستعود سوريا كما كانت".

أياً تكن الأيادي التي تقتل اليوم في سوريا فإن خروج الثورة عن سلميتها كان منعطفاً خطيراً في مسيرتها، ونحن اليوم بتنا وكأننا نعتاد شيئاً فشيئاً على مظاهر القتل والدم في مختلف شوارع المدن والقرى السورية. كلما طال أمد هذه الأزمة فإنها تتحول إلى روتين في حياتنا وبشكل مخيف. بينما يتعامل العالم كله مع الأمر بطريقة الشحن الكهربائي، في كل فترة يتم إطلاق بعض التصريحات أو اتخاذ بعض الإجراءات من أجل إيهام الناس بأن العالم يقف مع الثورة وهو كلام غير صحيح. ما تبرير أن يبقى سفراء وديبلوماسيون سوريون حتى يوم أمس في بلدان تعلن أنها مع الثورة السورية منذ يومها الأول؟ إن خشيتنا من تعمد إطالة الأزمة تنصب في خانة الخوف على هذا الوطن من الضياع والتمزق والحرب الأهلية.

مجزرة تودي بحياة مائة وخمسين شخصاً، كان لكل منهم حياته ومستقبله الذي ينتظره. كان بعضهم يحلم بمنزل متواضع يأويه مع عائلته بينما حلم آخر بأن يدخل ولده الجامعة. في ذلك اليوم الأسود رحل الأب وولده معاً، وتبخرت أحلامهم على يد حملة الموت الأسود. لن أشك لحظة واحدة في أن طفلاً ذا سبعة أعوام يمكن أن يكون إرهابياً أو مجرماً، أو يكون سلفياً أو تكفيرياً أو علمانياً أو غير ذلك من ترهات الكبار. أجمل ما في الأطفال براءتهم ونقاؤهم البعيدين كل البعد عن سخافاتنا ومذاهبنا واعتقاداتنا نحن الكبار. ولهذا فإن من يغتال براءتهم يقضي على أجمل ما في هذا الكون: بسمة طفل، ويزرع الحقد والكراهية في الجيل القادم مهما حاول البعض من تخفيف المأساة، فمن رأى السم لا يشفى كمن شربا.

يغتال الحاكم هذا الوطن بعدما أشبعه تعذيباً واعتقالاً وتنكيلاً وكبتاً على مدى عقود. لم يكن الوطن أكثر من مزرعة، من بقرة حلوب تم تصفية حليبها للنقطة الأخيرة وها هي اليوم تذبح بدم بارد ويرمى لحمها للكلاب الضالة. اختزل الحاكم الفرد كل الوطن في مقولة خبيثة أطلق عليها: "سوريا الأسد". كيف يجرؤ إنسان واحد على إلصاق اسمه بالوطن؟ بل كيف سمحنا له أن يسرق أجمل سنين عمرنا ونحن نهتف بخلوده وأبديته بينما كان يقضي على أعمارنا؟ لم تعد هذه الأسئلة تؤرقنا اليوم بقدر أرقنا على المستقبل الذي ينتظرنا بعد كل هذا التاريخ الأسود.

يسقط خيرة شباب الوطن اليوم شهداء في سبيل حريتهم بعدما سقط آباؤهم إما في المنافي أو في المعتقلات. هم يقولون اليوم: "الموت ولا المذلة"، لقد ذاقوا طعم الحرية المميز واللذيذ ولم يعودوا يقبلون بغيره متعة. إنهم يموتون اليوم ليحيا الباقون، وهو قدر الأبطال والعظماء في كل مكان وزمان. نحن نفهم اليوم تماماً معنى نصب الجندي المجهول. ففي سوريا اليوم آلاف الجنود المجهولين الحقيقيين الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم ومستقبلهم لأجل حرية وطنهم، وهم الجنود الحقيقيون الذين يستحقون التكريم.

هل سيتدخل العالم فعلاً في سوريا؟ وما الذي سيحصل إن حدث التدخل؟ وما الذي سيحصل إن لم يحدث التدخل؟ هذه هي أهم الأسئلة اليوم في سوريا. والتجربة تقول أن النتائج ستكون كارثية في الحالتين وخاصة بعد المجازر والأهوال التي يلاقيها السوريون اليوم. قد يتدخل العالم في سوريا ولكن ليس قريباً كما يبدو. ولكن إن حدث هذا التدخل فإن دماراً إضافياً سيضاف إلى الدمار الذي تسبب به النظام على مدى الأشهر الخمسة عشر الماضية، ناهيك عن حجم الضحايا الذي لا يوصف. إن غزو العراق والتدخل الدولي في ليبيا لا تزال آثارهما باقية حتى اليوم. ولم يتم حل الأزمات ولا إنشاء دول متقدمة ديمقراطية حرة، بل على العكس ففي الحالة العراقية اشتعلت المسألة الطائفية وانفصل ضمنياً إقليم كردستان واستبد المالكي بالحكم وامتلأت السجون من جديد بالمعتقلين بتهم وبدون تهم. أم في ليبيا ففوضى السلاح جعلت من أقل خلاف حرباً مسلحة لا يوجد فيها محرمات. كما أن كل مجموعة اليوم تطالب باستقلال أو حكم ذاتي في مشروع لتقسيم البلد بينما تواصل شركات النفط والغاز أعمالها بمعزل عن كل ذلك ولكن لا أحد يعلم كيف سيتم استغلال هذه الثروات المعدنية من قبل القادة الجدد.

أما إن لم يتدخل العالم في سوريا، فإن النتيجة هي حرب وأزمة طويلتا الأمد، ينهك فيها كل طرف الآخر بدون أية رحمة، كما أن استمرار هذه الحال سيودي إلى كارثة اقتصادية واجتماعية حقيقية. يتحدث الجميع اليوم عن المساعدات الإنسانية للسوريين وكأنهم باتوا يعيشون حالة تهجير جماعي أو كارثة طبيعية. ولكن المؤسف أن الكوارث تأتي ممن يفترض بهم حكم الوطن حكماً رشيداً ووطنياً. بقي نظام صدام في الحكم اثني عشر عاماً بعد الحصار وطرد سفرائه وقطع العلاقات معه ومنع كل شيء عنه. وفجأة صرنا نتحدث عن النفط مقابل الغذاء في بلد غني وجبار كالعراق وصارت مشاهد الأطفال الذين يتعرضون لسوء التغذية والأمراض الفتاكة مشاهد عادية في كل نشرات الأخبار والتحليلات السياسية والاقتصادية بينما واصل الجميع حياتهم بشكل عادي.

لسنا نسوق هذا الكلام على سبيل الإحباط أو الفلسفة السياسية في هذا الزمن المجنون، ولكن الأهوال التي تراها يومياً في وطننا ثم نجد ذلك التعالي والبرود سواء من قبل دول العالم أم من قبل المعارضين في الخارج، كل ذلك يدفعنا فعلاً إما إلى الجنون أو إلى الانتحار. والأمران مرفوضان اليوم. "لمن سنترك هذا الوطن إذاً" قالها لي أحد الأصدقاء وهو في طريقه إلى حمص لمساعدة المنكوبين هناك. إننا كالأسماك في هذا الوطن، إن خرجنا منه متنا، ولكننا نضطر تحت وطأة الإرهاب السلطوي المنظم إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من براثن أجهزة دموية همجية لا تعرف من الإنسانية إلا غرائزها.

رغم إيماننا بأهمية الكلام، ورغم قناعتنا بأن الحروف لا تموت، ولكن ما يجري اليوم لا يطيقه عقل واع أو ضمير حي. إننا بالفعل غالباً ما نشعر بالعجز تجاه ما يجري، من أين نبدأ؟ وماذا نفعل أولاً؟ وكيف؟ آلاف من الأسئلة التي نحار جوابها أمام القتل اليومي والاستهداف لكل ما يدب على الأرض. هناك حملة شرسة تدور اليوم على الكتاب والمثقفين ودعاة السلمية لدفعهم من خانة الفعل إلى خانة رد الفعل، وهم بذلك يستثيرون أبسط ما في الإنسان من رد فعل طبيعي: دفاعه عن حياته. ولا نشك في أنهم نجحوا في بعض الحالات، وهي حالات لا يمكن لومهاً أبداً، فمن يرى ابنه أو ابنته يذبح أمامه لن يبقى في رأسه عقل ولا منطق، وسيكون هاجسه الأول الانتقام والقصاص وهو حق مشروع، ولكننا بعد ذلك علينا أن نفيق من ذلك ونبدأ من جديد.

هذا ليس تنظيراً ونحن ندرك أن ذلك سيستغرق الكثير من الوقت، وسيموت ضحايا ويسقط جرحى، فالطريق وعرة ومليئة بالأشواك، ولكننا نعوّل أن تكون نهايتها سعيدة. ستمضي الثورة لتنظف وتنفض الغبار المتراكم على صدر الوطن لقرون طويلة، ولكن بعد ذلك ستكون هناك سوريا مختلفة وسيأتي سوريون مختلفون. هذا ما نحلم به لأبنائنا ونحاول زرعه اليوم. أما متى وهل سنشهد نحن ذلك اليوم، فذلك نتركه للتاريخ القادم. علينا أن نزرع اليوم ونترك الحصاد لأبنائنا، هذا ما يقوله تاريخ الأمم التي سبقتنا للحضارة وهو ما سيحصل في وطننا أيضاً.

آخر الكلام مثل مبدئه:

يقول أحمد شوقي في رثاء عمر المختار: (ونستعيره إهداء لأرواح أطفال الحولة)

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم
يوحي إلى جيل الغد البغضاء

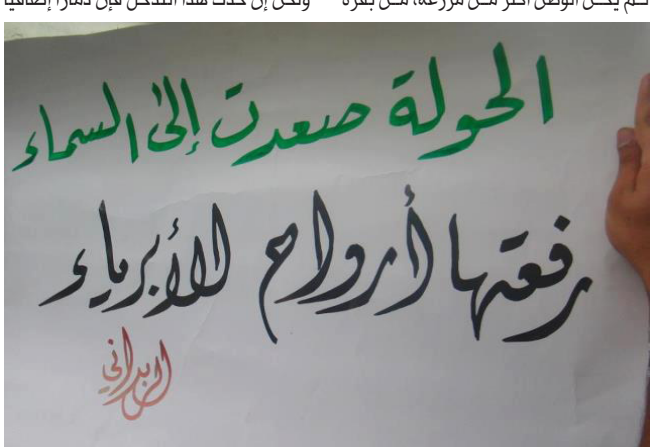

الشيك في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

تعريف الشيك:

هو محرر مكتوب في شكل أمر بالدفع يتمكن بمقتضاه الساحب أو الغير من قبض مبلغ النقود من حساب المسحوب عليه الذي هو مصرف في العادة، وبذلك ينطوي على علاقتين سابقتين على تحريره – علاقة الساحب والمسحوب عليه الذي هو غالباً مصرف عندنا في سورية بسبب مديونية الثاني للأول بمقدار الرصيد النقدي المودع عنده وعلاقة بين الساحب والمستفيد استدعت إصدار الشيك وهذه الشكلانية المميزة للشيك تعين معها توفر بيانات إلزامية فيه أتى عليها المشرع وعددها في المادة "514 من القانون التجاري" تنحصر في أن تكون كلمة شيك في متن السند باللغة التي كتب بها والأمر بدفع المبلغ غير المتعلق على شرط، واسم المسحوب عليه الذي هو مصرف حصراً، واسم المستفيد، ومكان الأداء ومكان الإنشاء وتاريخه.. وهناك يجوز للساحب أن يسحبه على نفسه إذا كان من مؤسسة على مؤسسة أخرى وكلتاهما للساحب نفسه، يضاف إلى البيانات الإلزامية بيانات اختيارية لا تتضارب مع وظيفة الشيك في كونه أداة وفاء وذلك كاشتراط وفائه في محل معين "توطين الشيك"، غير أن هنالك بيانات لا يجوز اشتراطها فيه لتعارضها مع ماهيته كاشتراط تقديم الشيك للقبول، أو اشتراط الساحب عدم ضمان استيفاء الشيك وهو ما يستوجب إبطاله وبقاء الشيك صحيحاً مستحقاً لدى الاطلاع.

لتداول الشيك طرق يحددها الشكل المتخذ، فإذا كان الشيك محرراً لحامله فإن تداوله يتم بطرق التسليم اليدوي، أما إذا كان الشيك محرراً باسم شخص معين، أو لأمره، فإن تداوله يتم عن طريق التظهير، كذلك فإن للشيك مدداً يجب أن يقدم خلالها، إذ يجب تقديمه خلال ثمانية أيام من تاريخ إصداره إذا كان الشيك مسحوباً في سورية، وخلال عشرين يوماً في حال تحريره خارج سورية إلا أنه اشترط الوفاء في داخلها، إذا كانت جهة إصداره واقعة في أوروبا، أو أية دولة متوسطية، وسبعين يوماً في غير هذه البلاد. وإهمال حامل الشيك تقديمه خلال هذه المهل لا يعني أن حقه قد سقط تجاه المسحوب عليه، بل يظل الأخير ملزماً بوفاء قيمته طالما أنه يجوز مقابل وفائه. والتقادم على الشيك يخضع للتقادم المصرفي الذي يختلف تبعاً لأشخاصه وتبادله فتسقط دعوى حامل الشيك تجاه المسحوب عليه بمرور ثلاث سنوات على انقضاء الميعاد المحدد لتقديم الشيك للوفاء، وتسقط دعوى حامل الشيك على المظهرين، والساحب الذي أوجد مقابل الوفاء والملتزمين الآخرين بمرور ستة أشهر على تاريخ انقضاء ميعاد التقديم.

وتجدر الإشارة إلى أنه تم البدء باستعمال الشيك من بريطانيا، ثم تسرّب إلى البلاد الأخرى. ويعدّ قانون التجارة الهولندي الصادر في العام 1838، أقدم قانون بحث في الشيك ونظم قواعده، ومن ثم صدر القانون الفرنسي في العام 1865 والقانون البلجيكي في العام 1873. أما قانون الشيك العثماني، الذي أطلق عليه اسم قانون الشيك المؤقت، فقد ورثته سورية ولبنان عن الدولة العثمانية، وبقي هذا القانون مطبّقاً حتى صدور قانون التجارة الجديد، الذي عالج أحكام الشيك مستمداً من القانون الموحد الذي أقرّ في جنيف من العام 1931.

أنواع الشيك:

وللشيك أنواع عدة منها: الشيك الذي لا يصرف إلا للمستفيد الأول دون الثاني، والشيك الذي يصرف لحامله، والشيك المؤجل الذي يصرف بتاريخ محدد، والشيك المسطر حيث لا يتم صرف الشيك نقداً بل يتم إيداعه في حساب المستفيد، وأخيراً الشيك المصدق وفيه يقوم البنك بحجز مبلغ الشيك أو التأكد من وجوده قبل إصداره، وفي الفروق يمكن القول إن السند لا يتضمن سوى طرفين هما المحرر والمستفيد وأما الكمبيالة ففيها ثلاثة أطراف هي الساحب والمسحوب عليه والمستفيد، وتحرير السند يتطلب علاقة قانونية بين المحرر والمستفيد فقط بينما إصدار الكمبيالة يتطلب علاقة بين الساحب والمسحوب عليه وعلاقة بين الساحب والمستفيد، وإنشاء الكمبيالة يعد عملاً تجارياً بحد ذاته بينما السند لا يعد عملاً تجارياً إلا إذا حرره تاجر وحتى ولو كان تحريره لأعمال تجارية، وأما الفرق بين الكمبيالة والشيك فهو أن الشيك لا يجوز سحبه على أي شخص طبيعي أو معنوي غير المصرف، ويجوز أن تحرر الكمبيالة في ورقة عادية بعكس الشيك المشروط بنموذج خاص يضعه المصرف، ولا يعد الشيك عملاً تجارياً إلا إذا حُرر بعملية تجارية، والشيك على خلاف الكمبيالة لا يتضمن ميعاداً للاستحقاق لأنه واجب الدفع بمجرد الاطلاع فتاريخ سحبه هو نفسه تاريخ استحقاقه، ويتشابه الشيك والكمبيالة في أنهما كلاهما يستلزم وجود ثلاثة أطراف هي الساحب والمسحوب عليه والمستفيد.

ولا بد للشيك حسب القانون السوري من اشتماله على البيانات الأساسية التالية لاستيفاء موجبات الصرف والأداء:

1 - كلمة "شيك" مكتوبة في متن السند وباللغة التي كتب بها.

2 - أمر غير معلّق على شرط بأداء قدر معين من النقود، "الأمر موجّه إلى المصرف مصدر الشيك"، المسحوب عليه.

3 - اسم من يلزمه الأداء "المسحوب عليه/المصرف"، ولا يجوز أساساً سحب شيكات إلا على مصرف، ولا تعدّ الصكوك الصادرة في سورية المستحقة الوفاء فيها والمسحوبة على غير مصرف - في صورة شيك – شيكات. صحيحة.

4 - مكان الأداء، وإذا لم يذكر، فالمكان الذي يذكر بجانب اسم المسحوب عليه يعدّ مكاناً للدفع، فإن ذكرت عدّة أمكنة يكون الشيك مستحق الأداء في أول محل مذكور.

5 -تاريخ إنشاء الشيك ومكان إنشائه.

6 -توقيع من أنشأ الشيك "الساحب".

الشيك في قانون العقوبات:

أحاط المشرع السوري الشيك بمؤيدات جزائية، على اعتباره أداة وفاء وليس ائتمان، وقد نصت المادة 652 من قانون العقوبات على مايلي: "كل من أقدم عن سوء نية على سحب شيك بدون مقابل سابق ومعد للدفع أو بمقابل غير كاف أو على استرجاع كل المقابل أو بعضه بعد سحب الشك أو على اصدار منع عن الدفع للمسحوب عليه يقضى عليه بالعقوبة المنصوص عليها في المادة 641 ".

كما نصت المادة 653 على: 1 ـ من أقدم عن معرفة على حمل الغير على تسليمه شيكاً بدون مقابل قضي عليه بعقوبة الشريك في الجرم المذكور أعلاه. 2 ـ تضاعف هذه العقوبات إذا استحصل المجرم على الشك لتغطية قرض بالربى.

على الرغم من أنّ الشيك هو إحدى طرق "الدفع بدل النقود في المعاملات"، والتعامل به يؤمن العديد من المزايا، مثل القليل من حالات السرقة أو الضياع وخفة الوزن.. إلا أنه مازال حتى اليوم لا يشهد الانتشار الذي يشهده في الدول المجاورة. ويرجع ذلك إلى فقدان الثقافة المصرفية، إضافةً إلى عمليات الاحتيال التي تظهر في كل البلدان التي تتعامل بالشيكات، ويرجع ذلك أحياناً إلى أمور دينية، أو إلى عدم وجود ثقافة مصرفية، أو إلى اعتياد التجار على التعامل بالكاش وعدم رغبتهم في تغيير ذلك، خاصة أنّ عمر المصارف الخاصة في سورية ليس بالطويل وبالتالي، تعدّ الثقافة المصرفية جديدة، والخدمات المصرفية المقدمة حتى الآن محدودة، ولم تكبر إلى درجة يستطيع كل الناس الاستفادة منها. فالسوق المصرفي في سورية مازال "خاماً". وبالمقارنة نجد أنّ ثقافة التعامل بالشيكات سائدة أكثر في الدول المجاورة، مثل لبنان والأردن. فعمر المصارف الخاصة في لبنان مثلاً يصل إلى 55 سنة من جهة أخرى، من الملاحظ أنّ جيل الشباب يفضّل التعامل بالشيكات على خلاف التجار من كبار السن الذين اعتادوا نمطاً معيناً من التعاملات.

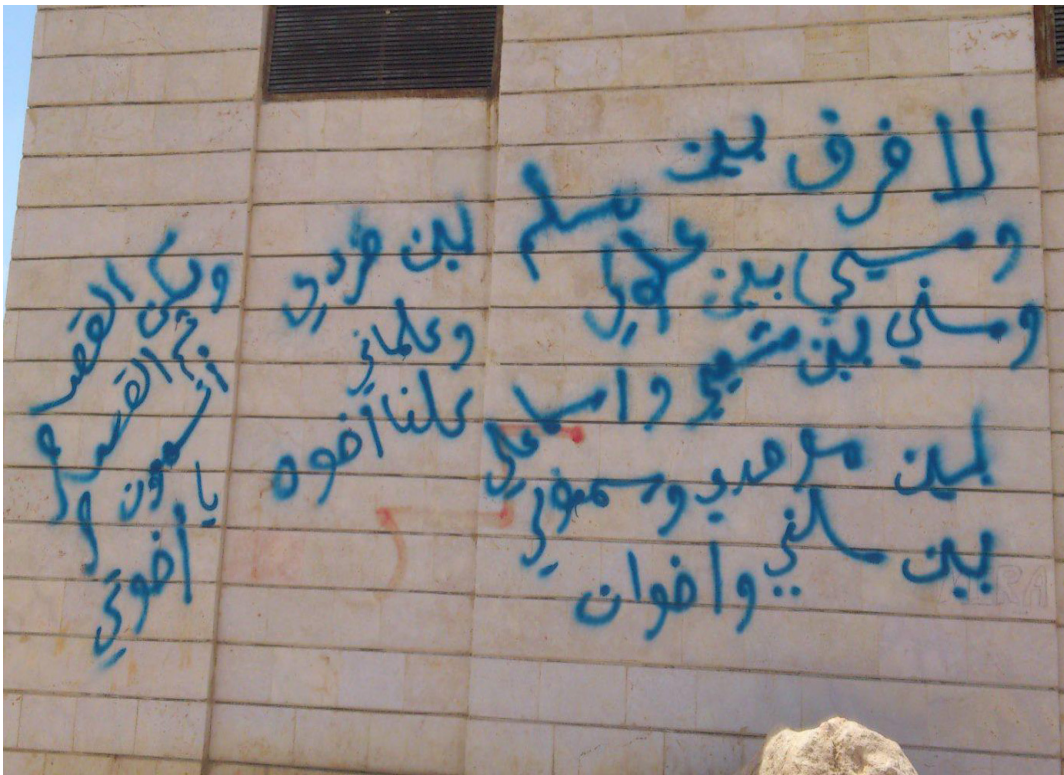

أبطال الإعلام الثوري

لم يتعلموا المهنة في أكاديميات الأنظمة.. نالوا الشهادة من أكاديمية الثورة

■ آكاسيا العاصي

لم يكن الأسبوع الماضي كغيره من أسابيع الثورة السورية، بكل ما حملته من دماء، كان الأسبوع الأكثر إيلاماً، افتتح بمجزرة الحولة، واختتم بقصف هو الأعنف على مدينة حمص، وما بينهما خسر الإعلام الثوري في سورية نخبة من خيرة نشطائه. ولولا فداحة الفجيعة التي حلت بمنطقة الحولة، لاستحق الأسبوع الماضي تسمية أسبوع "شهداء الإعلام الثوري".

ولا نظنه قدراً أحمق الخطى من حصد ثمانية إعلاميين مهمين في عدة أيام، وفي المناطق الأكثر سخونة، بل جريمة عن سابق إصرار وتعمد، كانت واضحة الأهداف، ففي حي الخالدية يوم 27 أيار أصابت قذيفة الناشطين الإعلاميين عمار محمد سهيل زاده مدير شبكة شام الإخبارية في مدينة حمص، وأحمد عدنان الأشلق المهندس، ولورانس فهمي النعيمي، المصور والناشط الإعلامي. وفي يوم 29 أيار كانت قذيفة هاوون من نصيب المخرج السينمائي المتميز والمدرب الإعلامي باسل شحادة ومرافقه المصور ومخرج التقارير أحمد الأصم وكانا في سيارة تقلهما إلى حي باب السباع لتصوير هجوم قوات النظام. وفي يوم 30 أيار سقطت قذيفة في الموقع الذي تواجد فيه فنان الثورة في القصير مهيد محمد الزهوري، ما تسبب له بإصابة بليغة، خضع بعدها لعمل جراحي استمر لساعات، ليفارق الحياة يوم الخميس 31 أيار. في اليوم ذاته أصابت فيه قذيفة طائشة مصور تنسيقية القصير المبدع والشجاع عبد الحميد مطر أثناء تصوير تقدم الدبابات نحو المدينة. كما استشهد في الأسبوع ذاته في درعا أمين الزعبي أثناء تغطيته اشتباكات هناك.

ورغم أن الثمانية هم من عشاق الشهادة وكانوا يطلبونها، بحسب ما قاله رفاق فنان الثورة مهيد الزهوري، إلا أن غيابهم خسارة فادحة، بالنظر إلى المهارات التي اكتسبوها بالخبرة الحية و حجم النشاط الذي كانوا يقومون به لنقل ما يجري على الأرض للعالم المتفرج، عسى يوقظون ضمائره.

دخل هؤلاء الجنود المجهولون مجال الإعلام من باب الثورة العريض، لم يتعلموا أدبيات هذه المهنة الشاقة في أكاديميات الأنظمة المعلبة، ولم يتعرفوا على ألاعيب صناعة الرأي العام ولا الخدع المؤثرة فيه. دخلوا من باب الثورة العريض المغمور بالدماء الزكية، والممتد تحت وابل نيران عمياء لا ترحم، فتعلموا الإعلام في أكاديمية الثورة، ودفعوا الثمن الباهظ من شبابهم الغض، وانتهجوا أخلاقيات نقل الحقائق كما تجري على الأرض بلا زيادة أو نقصان، ومن دون تهذيب أو تشذيب، دافعهم الحرية ورفع الظلم عن الناس، وتحقيق حلمهم بانتصار الثورة. قدموا رواياتهم النقية كما هي، فكانت "رواية الثورة" بعيداً عن التوازنات الدولية، وبعيدا عن ملوثات التمويل ومصادره المشبوهة. ونقلوا بوسائلهم البسيطة جدا الصورة الأسطورية للنضال السوري، وسحبوا البساط من تحت أقدام عتاة الإعلاميين المختبئين وراء ذعرهم من خسارة عملهم ومورد رزقهم، بل من تحت كبرى وسائل الإعلام العربية والدولية، التي مُنعت من دخول البلاد إلا من بوابة النظام، فتقدم هؤلاء الجنود المجهولون لسد الفراغ، وكانت صورهم وأفلامهم ولافتاتهم المبدعة، المادة الأساسية لا لتغطية ساعات البث على مدار الساعة فقط، بل لإعلان الحقيقة الصارخة أيضاً. وأجبروا العالم الأعمى والأصم على أن يرى ويسمع ما يجري في سوريا، عبر إصرارهم على البقاء على الأرض الملتهبة بنيران القذائف، وبتحدي آلة القمع المتوحشة والهمجية. وإذا فتحنا صفحات حيواتهم القصيرة لأذهلتنا بطولاتهم الاستثنائية وأفكارهم المتقدة ووعيهم الحار. وإذ نقف عند المصور عبد الحميد مطر، الذي أيقظه هاتف من رفاقه ليتوجه إلى ميدان المعركة لتصوير تقدم الدبابات نحو مدينته القصير، سندرك أن هذا الشاب لم يكن هاويا للتصوير، ولا إعلاميا يسعى إلى سبق يرفعه إلى مصاف نجوم الإعلام، بل مقاتل عنيد سلاحه الكاميرا يجهد لتوثيق وقائع الثورة، فهو ورغم كم المعلومات والصور التي قدمها لم يكن معروفاً قبل استشهاده، إنه الإعلامي الحقيقي الذي نقل الحقيقة لوجه الحقيقة ليس إلا، ولا يختلف عنه فنان الثورة مهيد الذي انتقل من رسم اللوحات الزيتية الفنية التزينية إلى رسم الكاريكاتير السياسي الساخر، وتأليف جمل اللافتات، التي تظهر في صدارة مظاهرات يوم الجمعة لتكون رسائل ثوار القصير المعبرة عن وعيهم ومواقفهم، ولعل من أبلغ ما رسمه في جمعة "دمشق موعدنا قريب" آخر يوم جمعة له كانت تلك اللوحة التي تضمنت رسما لمفتاحين مربوطين مع بعضهما بحلقة واحدة أحدهما مفتاح دمشق والآخر مفتاح القدس. هذه القناعة التي توصل إليها السوريون بعد خمسة عشرة شهرا من الثورة. ومهيد كما عرف نفسه: "أنا كسائر الناس وأفكر مثلهم، هم يعبرون بالكلام وأنا اعبر بالرسم" بهذه البساطة النظيفة من الحذلقة الاستعراضية تقدموا الصفوف ليكونوا المعبر الأصدق عن الشارع السوري والناطق بلسان الثورة.

ومن عبد الحميد ومهيد الى المخرج باسل شحادة الذي أدمى نبأ استشهاده قلب من عرفه أو تعرف إليه بعد استشهاده، فهو لم يكن مخرجاً فقط بل شخص استثنائي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، كشف بموته عن الذخيرة الثقافية والإبداعية الكامنة التي يختزنها الجيل الثوري في سوريا، ولولا الثورة وشجاعتهم ما كانت تلك الطاقات لتتفجر وتملأ الفضاء إبداعاً. تأتي أهمية المخرج باسل من دعمه "الإعلام الثوري" في حمص، إذ نذر نفسه للثورة، فتخلى عن منحته الدراسية في أمريكا والتحق بالثورة، وفي عاصمتها حمص أجرى دورات تصوير ومونتاج للناشطين، واقتحم بكاميراته أكثر المناطق خطورة، مغامراً بروحه، ليعيش حلماً طالما راوده، لم تعوضه عنه حياة مترفة بالمغامرة والإثارة قضاها برحلات استكشافية على الدراجة من سوريا إلى الهند، فكانت حمص الأغراء الأكبر لإنتاج فيلم حياته، الفيلم الذي قال لرفاقه قبل أيام من استشهاده "أن لديه إحساس انه لن يخرج من حمص حياً ويكمل إخراج الفيلم" وصدق إحساسه، وكيف لا وهو ورفاقه من إعلامي الثورة بين أيدي الحق منذ انطلقت شرارة الثورة. يعاينوه وينقلوه وينطقون به.

قصص أبطال الإعلام الثوري تطول، وترتب على الإعلاميين التقليديين واجبا تجاه الثورة، وهو تدوين وقائع عملهم و دراسة عظمة انجازاتهم التي غيرت وجه الإعلام السوري، من إعلام مسخ دعائي مسطح، إلى إعلام ينبض بالحياة، صدقه مهور بدماء أبطاله، فهؤلاء الشهود الذين أصبحوا شهداء، ضحوا لتحرير معاني (الثورة) من كل ما لحق بها دجل وأكاذيب وتضليل، وحسبهم أن النظام ألغى صحيفته (الثورة) في اعتراف غير مباشر، أن هذه الكلمة المباركة باتت ثقيلة على أسماع إعلام ببغائي اختطف في يوم حالك ثورة الشعب السوري، وأفرغها من معناها، وهو اليوم يقف عاجزا أمام إعلاميين أبطال نبتوا من تربة روتها دماء ذكية، أصبحوا منارة حقيقية لصناع الثورة.

حـرائر انخـل..

نسـاء.. فـي زمـن الثـورة

■ سارة السورية

اليـوم، في سـوريا كما فـي العالم العربي، نقف في وسـط الزوبعة، نسـاءً ورجالاً، حيث تفاجأنا بهشاشة "النسويّة" في سـوريا، وكم هي غلافٌ يلمع ولكنه فارغ. إذ وبعد عام وشـهرين تقريبا على انـدلاع الثـورة السـورية لا تـزال المرأة السـورية غير قادرة على انتـاج خطابها السياسـي – الاجتماعـي الخـاص بها؛ لا يزال وجودها "كوتا" شكلية في التجمعات السياسـية، حيث يحرص كل تجمّع على إبـراز سـيدة أو اثنتيـن هربا من سـؤال باهـت يقـول: ايـن المرأة فـي تجمعكم وهي نصف المجتمع؟!! لكن في ظل هذا المجتمـع، حقائـق أخرى، قلمـا يتنبه لها مدّعو النسوية ودعاتها.

فـي سـجن "عـدرا" للنسـاء التقيت بمعتقلات سياسـيات من منطقة "إنخل" في درعا. لا أعتقد أنّ أياً منهنّ قد سمعت يوماً بكلمة "النسـوية"، ولـم يعنها يوماً كل التاريخ الشفوي والكتابي والمحافلي للمتحاربيـن حـول قضية المرأة. نسـاء متحرّرات من ثقل الكلمات الكبيرة وحلم "النضـال السياسـي". نسـاء مـن مدينة تشـتهر بالزراعة، ولديهن أرض خضراء، واليـوم هـن فقيرات. نسـاء أشـجع من العديـد من نشـطاء الحـراك الثوري في سـوريا، رجالاً ونسـاءً، ينظرن في العين بقوّة تهزّ الجسور ويقلن: "أنا قمت بهذا، ولا علاقـة لأي أحد آخر بالأمر". قلنها في التحقيق، قُلنها مـع بعضهن، وقلنها في الخفاء عن بعضهنّ.

لـم تكتـب أي مـن الفتيـات الثلاث مقالـة فـي حياتهـا، والمتعلمـة بينهنّ تعمل في التمريض بعد أن تابعت دورة. الاثنتـان الأخريـان توقـف تعليمهن في الصف التاسـع الإعـدادي. لكن كل واحدة منهـنّ تصلـح تعريفـاً حقيقيـاً لحالـة المرأة، ولديها إدراكهـا الفطري والعميق لدورهـا في الثـورة، كأم وأخـت وزوجة، وقبـل كل هـذا كمواطنـة. الأولى أخفت عن والدتها نشـاطها، والثانية أخفته عن خطيبهـا الذي ثار لدى معرفته بتوقيفها، والثالثـة رفضت الاتصـال بخطيبها الذي كان موقفـه سـلبياً مـن اعتقالهـا حتى عاد ووقف إلـى جانبها ووعدها بأنّه يوم تخرج من السجن سوف يتزوجان.

نظـرت إلـى "حرائـر أنخـل" بـكل خجل، وشـريط مـن النسـويات اللواتي التقيـت قبـل دخولـي سـجن عـدرا يمر في ذهنـي. نسـويات كتبن عـن المرأة، اشـتُهرن كمناضـلات مـن أجـل المرأة، سـافرن للحديـث عـن نضـال المـرأة السـورية وواقعهـا ومعاناتهـا، والجميع يعرفهـنّ ويفتخـر بهنّ، لكـن كل هذا لم يمنعهنّ من ممارسـة مختلف اشكال الإسـاءة التي تمارسها المرأة بحق المرأة كما يحلو للناشـطات التوصيـف. تعاملن بفوقية إنسانية وثقافية ومعرفية وحتى اجتماعيـة طبقيـة فـي حـالات عديـدة. رفضنَ الرجل واعتبرنّه عدوهنّ الأوّل، حتى انعكس الأمر في غضب من ذواتهنّ كنساء، وكأنّ الجمال أو الأناقة أو اللطافة أو الاعتناء بالمنزل ونظافته دلائل نقص في تطوّر وعي الشابة السورية، وعلائم انحدار إلى مصاف الرجعية حيث كان الجد يُهينُ الجدة ويضربها.

"حرائـر أنخـل" يعتنيـن بجمالهـنّ قـدر المتاح في مهجع الإعتقال، يُجرّبنَ فـي الطبخ، يفكرنَ فـي الأحـداث التي عرفتها البلاد خلال عام عُشنَه ويُنتجنّ خطابهنّ السياسـي الخـاص. في الوقت الـذي تتابـع فيـه العديد من الناشـطات خارج أسوار السجن دعوة المرأة السورية إلى توحيد الصف ورص البنيان لمقاومة الحضـور الذكوري الكاسـح فـي الثورة، يـا للعجـب!! "حرائـر أنخـل" يفخـرنَ بـ "الشـهادة" ويعتبـرنَ أنّ مـن ينالهـا قـد نالها عـن جدارةٍ واسـتحقاق خصه بهما ربّ العالميـن، والناشـطات فـي الخارج يتحدثـنّ عن السـفر إلـى الخـارج، عن هـذا المؤتمر أو ذاك، وعن هذا التجمّع أو ذاك. "حرائر أنخل" يبتلعنَ الدمعة، ودمع العين خائن، حين يتحدثنَ عن آخر حمام حممتـه الأم لابنتها، وعن حلـم الزفاف، وعن عشـق عذري تتوج بكيلو من الحلو العربي وافقّت إدارة السـجن على إدخاله وقـد صنعـه الخطيـب بيديه. فـي حياة "حرائـر أنخل" هذه الأحاديث هي الخائنة حيـن تهرب مـن شـفاههنّ، إذ لا تعرف الحرائر الشـكوى أو النـدب. يُفكرنَ في الحـراك الذي غبنَ عنه، ومـا كان يمكن أن يكون.

"حرائر أنخل" لم يسألننا عن وضعنا المادي بل أغدقن علينا الخضار والفواكه وأشياءهنّ البسيطة. "حرائر أنخل" يُثرنَ جـدالاً لأكثر من سـاعتين فـي كل مرّة حاولنـا بها أن ندفع ثمن شـيءٍ مشـترك لنـا ولهم من الطعـام. "حرائـر أنخل" لا يعرفـنَ "الفيسـبوك" أو "تويتر" لكنهنّ يكتفيـن بالابتسـام ونظرة الاسـتخفاف لـدى أحاديثنا عن صفحات "الفيسـبوك" وتعليقات الناشطين.

إلى "حرائر أنخل" وكلّ نسـاء درعا، داريا، حمـص، حماة، ومدننـا المنكوبة، بكنّ تُبنى سـوريا الجديـدة، حيث دولة المواطنـة، وحيث أننـا نسـاء حقيقيات، أمهـات وزوجـات، جميلات وقـادرات على العيش في الحرب والسـلم، قادرات على إعادة قراءة تاريخنا بأكمله سياسياً ودينياً وثقافياً، ومنه سوف ننتج خطابنا الخاص المتحـرّر مـن أثقـال التنظيـر النسـوي المُستورد. وعليه: شكراً لكُنّ... والحرية لحرائـر أنخـل... ولجميـع المعتَقـلاتْ والمعتقلين، خاصّة من لا تتسـع نشرات الأخبار لأسمائهن أو أسمائهم.

*حرائـر انخـل: أسـماء الفـراج، صابرين وآيـات الرمان، اعتقلـن بتاريخ 2012/2/25 لنشاطهن في الثورة.

عن: The Damascus Bureau

فنون الجولان ضد احتلالين

■ روجيه عوطة

مع بداية الثورة السورية، أعلن أهل الجولان المحتل انضمامهم إليها ودعمهم المنتفضين في الداخل السوري. خرجوا في تظاهرات يومية وأسبوعية، وأطلقوا "تنسيقية الجولان المحتل لدعم الثورة السورية"، ونظموا العديد من النشاطات والاحتجاجات عبّروا فيها عن وقوفهم ضد نظام البعث وفاشيّته الممتدة من حمص إلى الجولان المحتل. إلاّ أن فعلهم الخلاق، تجلى، أكثر ما تجلى، في الفن والأدب اللذين صنعوهما ضد الاحتلالين، الإسرائيلي و... السوري.

حرص الفنّانون والكتّاب والشعراء في الجولان المحتل على أن يكونوا من أوائل الداعمين للثورة السورية، من خلال النشاطات الثقافية التي نظّموها وناقشوا فيها مستقبل الثورة وآفاقها، من دون أن ينسوا قضيتهم التحررية في الداخل الجولاني، التي هي جزء أساسي من معركة إسقاط نظام الأسد. منذ اللحظة الأولى، قرروا وضع كل قدراتهم الإبداعية في خدمة الشعب المنتفض: رسموا وغنّوا وصوّروا وكتبوا من أجل ينال كل السوريين الحرية، أينما كانوا. كما بحثوا في مستقبل الجولان وسُبل تحريره من الاحتلال الإسرائيلي بعد سقوط الأسد وتحرر الجولانيين من استبداده، لاسيما أن الواقع يشير إلى تنسيق ما يحصل بين الشبّيحة والاحتلال، عدا أن السياسة الإسرائيلية تريد من الأسد البقاء في حكمه كي تضمن حدودها من المقاومات الجديدة التي قد تنشأ وتفكّ القيد الاحتلالي عن المناطق السورية المحتلة، وذلك بحرية لم تحظ بها أيام الأسد الأب أو الابن. يعلم الجولانيون أن الاحتلال يشارك في قمعهم بشكل من الأشكال، وفي تغطية جرائم النظام ومجازره المتواصلة. فإسرائيل رفضت التصويت على قرارات الأمم المتحدة التي تدين بشار الأسد وانتهاكه حقوق الإنسان، وعارضت قرارات إدانته في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في المدن السورية، بينما كانت هي ترتكب، بالتوازي مع الجرائم الأسدية، فظائع في حق العائلات الفلسطينية البريئة والمحاصرة في غزة، وتدعم اعتداءات الشبّيحة في الجولان المحتل، مشجعةً إياهم على قمع المعارضين وكمّ أفواههم كي يواصل الأسد سحقه الانتفاضة وتشديد حصاره العسكري على المدن وأحيائها التي بات بعضها ركاماً.

الخلق الفني، كما يفهمه الفنانون الجولانيون، هو تحويل الحطام التاريخي إلى جسر متين يسير عليه السوريون نحو بلد لا قتل فيه ولا استبداد. الفن في هذه اللحظة التاريخية، من الضروري أن يُمارَس انطلاقاً من المشهد الدموي، وابتداءً من الصورة الركامية لسوريا الأسدية. يقف الفن الجولاني ضد احتلالين، ومعركته ضد الاحتلال الصهيوني كان قد بدأت منذ زمن، ولم يتعب فنّانوها في غمرة معاركهم الجديدة ضد فاشية نظام الأسد. الفن الثوري يفضح هذا التنسيق القمعي، ويعرّي أصحابه من أقنعة دأبوا على التنكر بها من أجل إخفاء طغيانهم الدموي وإبعاد شبهات الدم عنهم. ينزع الفنانون الجولانيون القناع المقاوم عن وجه الديكتاتور ويُظهرون بشاعته ورياءه منذ البيان رقم 66 الذي وقّعه حافظ الأسد عام 1967 وسلّم بفعله مدينة القنيطرة إلى إسرائيل قبل أن يصل جنودها إليها بساعات عدة. سلّم الأسد الجولان إلى إسرائيل. الفن السوري، الجولاني خصوصاً، يستعيد منهما منطقة الجولان ومعها سوريا كلها. فما سلّمه الأسد للاحتلال يستعيده الفن من الاثنين.

لا حدود بين الفن الجولاني والفن السوري الداخلي. نسّق أهل الجولان المحتل مع الداخل. أفادوا من الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي كي يتمكنوا من مواكبة الأحداث في سوريا، والتحرك على أساسها. كأن التنسيق الذي يجري بينهم ينقض التنسيق بين الاحتلالين. فالتنسيق الفني، مثلما يحصل طوال أيام الأسبوع التظاهري، يحصل في مجالات فنية عدة: في تصميم اللوحات وكتابة الشعارات وتنظيم الاحتفالات الداعمة. وقد جرى حديثاً في "مركز فاتح المدرس"، افتتاح معرض "قربنا يا حرية"، يضم لوحات كاريكاتورية للفنان علي فرزات، عنوانه مستوحى من أغنية الفنان سميح شقير وتحمل الاسم نفسه، وتضاف إلى أغاني الفنان السابقة التي أنشدت الجولان المحتل، واليوم ترافق الثورة السورية في أحزانها وتضحياتها وفي أفراحها واستمراريتها أيضاً. في عبورة الجدران والأشرطة العنصرية والعنفية، يخلق الفن الجولاني سياسة تحررية جديدة، بادر فنّانوها إلى تعليق علم الثورة على جبل الشيخ. السياسة الأسدية التي فرضت على السوريين التضحية من أجلها على مر عقود من الزمن، لم تسمح للسوريين بتعليق علم على هضبة من هضاب الجولان، أو تعليق إشارة ما تدل على اللاحدود بين الجهات السورية المحتلة.

حلم الرجوع وطموح التحرر

يجمع الفن الجولاني بين حلم الرجوع الجغرافي إلى المجتمع السوري وطموح التحرر من النظام الأسدي. في هذا الجمع الفني، يقصد الجولانيون تحويل الحلم إلى مسعى جدي وعملي، والطموح إلى واقع متحقق. ما يميّز هذا الفن أنه يؤسس لمرحلة خلاقة جديدة، لا توظّف الأدوات فيها لتمتين الموضوع، أكان عودة أم انتفاضة. كما أن الفنانين لا يثقلون كاهل عملهم الفني بقضيتهم. الفن الجديد الذي تخلقه الثورة، يتصف بذات تظهر فنّها في فضاء غير مقيّد بموضوع إيديولوجي جامد. لا جمود في هذا الفضاء الفني، والقطيعة تحصل تلقائياً بين ذات الفنان ومسعاه الإيديولوجي. تقطع الأعمال الفنية مع مناسبة خلقها لتأريخ مرحلة أو حقبة ثورية ما، وربما هي الطريق لدخول السوريين إلى تاريخهم الجديد. يواصل الجولانيون

صرخاتهم التي تخرج حادة وقوية، كما في لوحة للفنانة رندا مداح، حيث تتداخل الخطوط وتتلوى التجاعيد بين العيون والأنف والفم الصارخ. فالصرخة تكوي المعالم الجلدية جميعها، مثلما تكوي المعاناة الحدود بين أهل الجولان المحتل والمنتفضين في الداخل السوري، الذين يصرخون بحلمهم المركّب من عنصرين، لا حد زمنياً أو جغرافياً بينهما: التحرر والرجوع معاً.

يُفَرّغ الدفاع الجولاني عن الثورة السورية خطاب النظام المتعلق بالمقاومة والممانعة، والمشاركة في دعم الشعب السوري يجوّفه طالما أن الجولانيين متمسكون بحرية بلادهم، فلا يمكن "المستعبد أن يمتلك إرادة التحرير، تالياً نحن نتطلع إلى دولة تؤمن بالحرية أولاً كي تكون قادرة على الوصول إلى التحرير"، بحسب الشاعر والأسير المحرر ياسر خنجر، الذي أمضى أكثر من سبعة أعوام معتقلاً في السجون الإسرائيلية. ليس على هذا النظام السياسي الجديد أن يحمل مسألة التحرير كشعار إيديولوجي، بينما الخاضعون له مقموعون ومعتقلون، وليس عليه أن يحملها كقضية أولية لا تترك مجالاً لتحقيق القضايا الملحة الأخرى، فـ"مشروع استرجاع الجولان ليس مناقضاً لغاية الثورة الرئيسية وهي حرية المواطن السوري وكرامته". المواطن الحر وحده قادر على تحرير الجولان، على قول خنجر، الطامح إلى سوريا جديدة، "لا يركض فيها الأطفال من خوف ولكن ليلاحقوا طائراتهم الورقية".

"نص تفاحة" و"أنتم الصوت ونحن صداه"

لهؤلاء الأطفال الراكضين خلف أحلامهم، تغنّي فرقة "نص تفاحة"، التي تواكب الثورة وتتعامل في أغانيها مع اللغة السورية الجديدة التي يخلقها الشارع في انتفاضته. تفاعلت هذه الفرقة مع الشباب السوري الرافض لسلطة نظام الأسد، وعملت معهم مشددةً على سلميّة الثورة واللجوء أكثر إلى الإضرابات والعصيان المدني. تتناول "نص تفاحة" شخصية القائد، وتعرّيها من هيبتها وهيمنتها، و"تدحرجها على التراب ليس انتقاماً إنما لضرورة تعريتها وإسقاط رمزيتها الفارغة بعدما قام بهذا شباب الثورة"، على قول عضو الفرقة الغنائية الفنان مضاء المغربي، الذي يريد للفرقة أن تغنّي كما يصرخ الشعب السوري، وأن تغنّي الأمل بالتحرير والتحرر، لأنه متأكد أن النظام لن ينجزهما. في الشتاء الماضي، كانت فرقة "نص تفاحة" قد غنّت للمازوت المستعمل وقوداً للدبابات في حين كان الأطفال السوريون يموتون من البرد والصقيع.

شارك العديد من الناشطين والمثقفين والكتّاب والفنانين في إصدار بيان "أنتم الصوت ونحن صداه" الذي أعلن فيه الجولانيون تأييدهم الثورة السورية. من ذلك البيان حتى اليوم، يؤكد الفنان التشكيلي وائل طربيه، أن الفنانين يعملون بكد وصمت منذ بداية الثورة في تصميم الملصقات الفنية، وهم استخدموا الغرافيك والرسم والتصوير والنحت والأعمال الإنشائية والفيديو للتعبير عن رؤيتهم الثورية، فضلاً عن المساهمات الشعرية والنثرية والموسيقية، والعمل في صفحات الثورة السورية الإلكترونية. كما نظّم الفنانون أسبوع "ليتك معنا يا عمر... ما أبهى الطوفان"، احتفاءً بالسينمائي الراحل عمر أميرالاي، لحقه حوار مطوّل عبر السكايب مع المخرج أسامة محمد. إلى هذه النشاطات، لقاءات عُقدت تحت عنوان "حوارات حول الثورة السورية"، تنتقل من مؤسسة ثقافية إلى أخرى في الجولان المحتل. يرى طربيه أن الصوت الفني والثقافي في الجولان خرق احتكار تمثيل موالي النظام للجولانيين عبر سنين طويلة. فللمرة الأولى، وبفضل بطولات السوريين، خرج إلى العلن صوت آخر يعارض نظام الأسد صراحة وبوضوح تام.

يتجه الفنانون بأنظارهم إلى سوريا، يعيشون الثورة بترقب تفاصيل الحراك الشعبي يومياً، ويترجمون حالتهم الثورية بالفن والشعر. تلتحق هذه الطرق التعبيرية بالشارع، بحسب الفنانة التشكيلية نهاد الحلبي، التي تعتبر أن الفنان الحقيقي هو من يتضامن قولاً وعملاً مع كل ضحية من الضحايا بغض النظر عن الهوية الدينية أو الطائفية، فمن واجب الفنان أن يتمتع بضمير أخلاقي حيال ما يشاهد من انتهاك للإنسانية على الشاشة أو أمامه على إثر اعتداءات الشبّيحة في الجولان، التي اتخذت أشكالاً عدة، كالتحريض الاجتماعي والتخوين، والمجابهات والإزعاج الشخصي، إضافةً إلى خلق حال من التوتر والانقسام في المجتمع. ففي مناسبة مرور عام على انطلاق الثورة، قرر الناشطون تنظيم اعتصام احتفالي، لكن التهديد التشبيحي دفعهم إلى تأجيله منعاً للاحتكاك بين المعارضين والموالين، ولقطع الطريق على العنف. بالنسبة إلى الحلبي، تتشابه عصابات التشبيح مع عصابات "الهاغاناه والأرغون" و"إسرائيل بيتنا" وحركة "كاخ" العنصرية، التي نفذت جرائم كثيرة في حق الشعب الأعزل، وينبع هذا التشابه من إيديولوجيا الإقصاء العنصري والانتقائي. تذكر الحلبي أن المدافعين عن النظام تربطهم به أهدافهم النفعية ومصالحهم الاقتصادية المباشرة. كما أن المجتمع الجولاني لا يختلف كثيراً عن التصنيفات الحاصلة في المجتمع السوري بين الموالي والمعارض والوسطي الصامت. تُضاف إلى هذا التصنيف صورة معممة عن النظام، بأنه أساس المقاومة، وهي تنتشر بين الناس فلا يستطيعون بفعلها فصل الزعيم أو القائد عن مستقبل البلد. تلخص الحلبي سوريا الجديدة في نقاط أساسية، هي بناء دولة مستقلة ذات سيادة على كامل أراضيها من الجنوب، الجولان، إلى الشمال، الإسكندرون، وأن تتمتع هذه الدولة بحياة برلمانية ديمقراطية، وانتخابات نزيهة تلبّي مطالب الناس بعيداً من الهويات القومية والدينية وغيرها. في سوريا الجديدة، لا دور للزعيم الواحد والقائد الأبدي فيها، يُفصل الدين عن الدولة فعلياً، وينهض الاقتصاد، وتُحترم حرية التعبير عن الرأي والمعتقد والصحافة.

فنّانو الحرية وشعراء الشجاعة

لا يتوانى الفنانون عن ممارسة دورهم الإنساني، ويجهدون في الوقوف إلى جانب إخوتهم في الداخل السوري، بكل الطرق المتاحة لهم، لاسيما بالفن والشعر وغيرهما. السوريون فنّانو الحرية، وشعراء الشجاعة، والتضحيات المبذولة من أجل التحرر من الطاغية تثبت استمرارهم بالثورة حتى إسقاط النظام. الطريق صعبة وطويلة، لكن الفنانين قادرون على اختصارها بلوحة وصورة وقصيدة، قادرون على مواجهة كل مستبد وكل ديكتاتور في المستقبل. يتحدى الفن الجولاني الجغرافيا والإيديولوجيا، يقطع الحدود، وتصل أعمال فنانيه إلى شاشة كل مواطن في الداخل السوري. هذه الأعمال بمثابة تحية يرسلها أخوة وأصدقاء من منطقة محتلة تحاصرها الشرائط والجدران، تعزلها عن الحرية المولودة في بلدها.

ملحق جريدة النهار اللبنانية
2012 / 6 / 2

عمل للفنان رامي عباس | فلسطين

رئيس الجمهورية: سعيد بيك اسحق
1899 - 1989
(بالسريانية: ܣܥܝܕ ܒܝܟ ܐܣܚܩ)

■ ياسر مرزوق

ولد سعيد اسحق المقدسي في عام 1899 "ولقب المقدسي لقبٌ متعارفٌ عليه في المجتمع المسيحي في سوريا، ومفاده أن حامله قد أدى رحلة الحج لفلسطين "في قرية قلعة "الأمراء" من أعمال ولاية "ماردين"، وسكانها من "السريان" وتلقى أول دراسة في مدرسة "الرقبة" وتابعها في مدرسة "دير الزعفران" المجاورة، وأتقن اللغة العربية والسريانية والكردية وألم باللغة التركية. ثم انتقل وهو شاب مع الكثير من بني قومه إلى بلدة "عامودا" في الجزيرة السورية إثر رسم الحدود بين تركيا وسورية، وإلحاق منطقة "ماردين" وتوابعها بالدولة التركية، ولا بد هنا من التذكير بالمذابح التي تعرض لها الشعب السرياني على يد الأتراك والتي اختصرت تحت عنوان "مذابح الأرمن"، إذ كانت الدعوة واضحةً إلى إبادة كل المسيحيين في تركيا بدون التفريق أو التمييز ما بين سرياني "كلدوآشوري" أو يوناني أو أرمني وقد استمرت المذابح من عام 1831 حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى حيث وقعت آخر المذابح والتي تعرف باسم "سيفو" على يد حزب تركيا الفتاة والتي توجهت ضد الشعب السرياني الساكن في بلاد الرافدين، طور عبدين والمناطق التي تقع جنوب شرق تركيا وشمال غرب إيران، وقد أوضح الدارسون أن الضحايا السريان كانوا ما بين 500، 000 إلى 750، 000 ضحية وقد كانت المذابح السريانية ذات أهمية توازي أهمية مذابح الأرمن لكن على العكس، لم يكن هناك أي رد فعلي وطني أو عالمي بشأنها، وتم تصنيف المذبحة السريانية كجزء من مذابح الأرمن، هذه المذابح هي التي دعت السريان إلى الهجرة جنوباً.

تنقل اسحق في شبابه للعمل في أماكن عدة نتيجة الظروف السياسية، وكافح واضطر أن يعمل عاملاً بسيطاً في مد سكة الحديد بين "حلب" و"العراق" بطعام يومه، ولقمة عيشه مع عدد من أفراد أسرته ليتقي شر العوز، ثم اشتغل بالتجارة وبيع الأقمشة، وقد درت عليه التجارة أرباحاً كبيرة نقلته إلى طبقة ملاك الأراضي.

عن السيد "بسام اسحق" نجل "سعيد بيك" ومن حديثٍ له لموقع "جزيرة كوم" ننقل: "كان لوالدي مضافة في "عامودا" مخصصة لاستقبال الناس ومساعدتهم وكان يلقب في "عامودا" بأبي الفقراء، فعندما يحصد الزرع كان في الليل يرسل القوت بشكل سري للناس الفقراء حيث كان يعرفهم بيتاً بيتاً، ودون أن يعرف الناس من الذي يساعدهم وكان يعطي الهبات للكنائس والجوامع حيث كان يحب التنوع في المحافظة ويعتبره أمراً إيجابيا، ما جر عليه نقمة الفرنسيين، حيث وضع تحت الإقامة الجبرية عدة مرات وصودرت محاصيله الزراعية ".

نتيجةً لمسلكه الوطني واهتمامه بالشأن العام تحول اسحق إلى زعامة في منطقته، مستمداً نفوذه من تأييد الناس له، وفي عام 1928 انتخب رئيساً للمجلس البلدي في مدينه عامودا رغماً عن إرادة الفرنسيين. وفي عام 1932 خاض اسحق غمار أول تجربة برلمانية له حيث انتخب نائباً عن مناطق "الحسكة، القامشلي ودجلة"، وأعيد انتخابه في عام 1936وفي عام 1943 تم انتخابه للمرة الثالثة في المجلس النيابي وفاز بمنصب المراقب، كما كان عضواً بارزاً في الكتلة الوطنية التي قادت الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي. وشغل مهام أمين سر الكتلة الوطنية بعض الوقت، وقد أبعدته السلطات الفرنسية عن الجزيرة عدة مرات لنشاطه الوطني ضد المستعمرين، وحين حصلت سورية على استقلالها منح وسام الاستحقاق السوري لجهوده الوطنية. ، وعام 1949 فاز عن قضاء "القامشلي" وانتخب بتاريخ 12 كانون الأول 1949 مراقباً للجمعية التأسيسية، والتي تحولت إلى مجلس النواب، وانتخب بتاريخ 1951/10/1 نائباً لرئيس مجلس النواب.

كما أن معرفة سعيد بيك العميقة بالأديان المختلفة، وبمكونات الشعب السوري بمختلف أطيافه، أكسبته مصداقية في التعامل مع الآخرين، كما ساعده الانفتاح والاحتكاك بالثقافات، والذي تميز به مجتمع الجزيرة السورية على أن يكون ناجحاً في حياته، كما شكلت معاصرته ومزاملته لرموز النضال الوطني آنذاك أمثال "سعد الله الجابري" و"فارس الخوري" في نضالهم من أجل تحرير سورية، والذي شارك فيه جميع فئات الشعب على صقل شخصيته المنفتحة للجميع والتي كان شعارها مبدأ الانتماء الوطني فوق كل انتماء.

في 1949/12/19 وقع انقلاب الزعيم فوزي سلو والعقيد أديب الشيشكلي والذي عرف فيما بعد بانقلاب "الشيشكلي الأول" وشكلت حكومة برئاسة خالد بيك العظم، ثم حكومة برئاسة السيد حسن الحكيم، ثم حكومة برئاسة د. معروف الدواليبي، وفي 1951/11/29، وقع انقلاب الشيشكلي الثاني وتم منع رئيس الوزراء الدواليبي، ورئيس مجلس النواب ناظم القدسي من القيام بمهامهم واعتقالهم، وشكل الرئيس هاشم الأتاسي "لجنة وساطة" بين رئاسة الأركان والحكومة وتألفت اللجنة من النواب سعيد اسحق النائب الأول لرئيس المجلس النيابي، و د. مصطفى السباعي نائب دمشق والسيد قاسم الهنيدي نائب دير الزور، وتمت استقالة وزارة الدواليبي وكلف الرئيس هاشم الأتاسي النائب السيد عبد الباقي نظام الدين "نائب القامشلي والجزيرة "ورئيس" الكتلة الجمهورية" في البرلمان بتشكيل الحكومة، ونتيجة خلافات متشعبة اعتذر السيد نظام الدين عن تشكيل الحكومة. فكلف الرئيس هاشم الأتاسي السيد حامد الخوجا "نائب الرقة" بتشكيل الحكومة ولم تؤلف بعدها، إذ صدر الأمر العسكري رقم /2/ بتاريخ 1951/12/2 بتولي الزعيم فوزي سلو رئاسة الوزارة والسلطة التشريعية، ونشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 1951/12/3 وكان الرئيس الأتاسي قد قدم استقالته من رئاسة الجمهورية للنائب الأول لرئيس مجلس النواب السيد سعيد اسحق في ذات اليوم وغادر القصر الجمهوري إلى بيته في حمص، ولما كان رئيس مجلس النواب د. ناظم القدسي لا يستطيع ممارسة مهامه، وبما أن الدستور المعتمد آنذاك دستور 1950 والذي ينص في الفقرة الأولى من المادة /88/ "يمارس رئيس مجلس النواب صلاحيات رئيس الجمهورية حين لا يمكنه القيام بها وفي حالتي الوفاة والاستقالة يجتمع مجلس النواب لانتخاب رئيس جمهورية جديد أما إذا كان مجلس النواب منحلاً أو بقي لانتهاء ولايته أقل من شهرين فأن رئيس المجلس يستمر في ممارسة الصلاحيات المذكورة" وعليه يصبح السيد سعيد اسحق من الناحية الدستورية رئيساً للجمهورية العربية السورية بالوكالة ولمدة 24 ساعة تقريباً أي لحين نشر المراسيم التشريعية التي أصدرها المجلس العسكري الأعلى بالجريدة الرسمية.

حينها شكل أديب الشيشكلي حكومة من "الأمناء العامين للوزارات" برئاسة فوزي سلو وفي 1953/7/11، كما أعلن النظام الرئاسي في سوريا وأصبح رئيساً للجمهورية.

في 1954/2/24 قام عصيان مدني وعسكري ضد الشيشكلي مما دعاه لمغادرة دمشق إلى بيروت مساء 1954/2/5وتولى د. مأمون الكزبري رئيس مجلس النواب الرئاسة وكالة بموجب الفقرة الأولى من المادة / 89/ من الدستور السوري الصادر عام 1953، وغادر د. الكزبري دمشق أيضاً في 1954/2/26وبموجب الفقرة الثالثة من المادة /89/ من الدستور المذكور، تسلم سعيد اسحق نائب رئيس مجلس النواب، رئاسة المجلس النيابي بالوكالة للمرة الثانية وأعلن حل مجلس النواب في 28 شباط من العام نفسه. والرئيس اسحق مسيحي تسلم منصب الرئاسة في الوقت الذي يذهب فيه الدستور السوري إلى اشتراط الإسلام ديناً لرئيس الجمهورية في مفارقةٍ دستورية من جهة ودلالة على الوعي الطائفي الذي كان ينعم به الشعب السوري.

اعتزل اسحق العمل السياسي وانتقل لاحقاً للعيش في الولايات المتحدة الأمريكية: وفي السنوات الخمس الأخيرة من حياته مرض و أصابه ضعف بالقلب، وكان كل أمله أن يعود إلى سورية وخاصة إلى "عامودا" لكن أطبائه في أميركا لم يسمحوا له بالعودة بسبب وضعه الصحي، وعند وفاته عام 1989 أرسلت السفارة السورية العلم السوري ولفوه به.

المجلس النيابي و قصف البرلمان

■ خالد كنفاني

في تمام الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم 29 أيار 1945، وجه الجنرال روجيه إنذاراً إلى رئيس المجلس النيابي يهدده فيه بانتقام فرنسا من المواطنين السوريين الذين يعتدون على الجنود الفرنسيين، ويطلب إليه أن تقوم قوات الشرطة والدرك السورية المرابطة حول المجلس بتحية العلم الفرنسي عند إنزاله في المساء عن دار أركان الحرب الفرنسية المواجهة للمجلس.

وكان عدد قليل من النواب قد جاؤوا لحضور جلسة البرلمان ، ولما لم يكتمل النصاب ... فطلب رئيس المجلس النيابي (سعد اللّه الجابري) من النواب الانصراف ، وقد ألغيت جلسة مجلس النواب في تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه ، وكذلك انصرف الوزراء الذين حضروا إلى المجلس.

عقدت الحكومة الوطنية اجتماعاً سرياً طارئاً في منزل أحد الوزراء لبحث الوضع ، بعد أن طوقت المصفحات الفرنسية دار الحكومة والمجلس النيابي .

وكانت حشود من جماهير دمشق قد خرجت إلى الشوارع للإعراب عن غضبها على التصرفات الفرنسية في محاولة لفك الحصار عن المجلس النيابي ، فوجدت نفسها في مواجهة القوات الفرنسية.

رفضت حامية مبنى المجلس النيابي (البرلمان) أداء التحية للعلم الفرنسي أثناء إنزاله من على ساريته في دار الأركان الفرنسية الذي يقع في مقابل مبنى المجلس ، بعد أن تلقى قائدهم مفوض الشرطة (سعيد القهوجي) أمراً بالرفض من رئيس المجلس النيابي (سعد اللّه الجابري) ، فاتخذ الفرنسيون ذلك ذريعة لمهاجمة حامية البرلمان ، مستخدمين قوات السنغال ، المزودة بالأسلحة الفتاكة من مدافع هاون ورشاشات كبيرة وصغيرة ودبابات ومصفحات .

كانت الخطة الفرنسية هي ضرب مجلس النواب السوري وقتل من فيه من وزراء ونواب لإحداث فراغ دستوري يسمح للفرنسيين أن يعينوا وزراء ونواب مواليين لهم، وضرب قوات الشرطة والدرك السوريين الذين بدأو بتشكيل نواة جيش وطني سوري.

روى المرحوم الشرطي علاء الدين الشيشكلي في رواية منفردة أن المقاومة الوطنية في حماه أردت ضابطاً فرنسياً و عثرت في جيبه على أوامر و تفاصيل خطة هجوم على مجلس النواب أثناء إنعقاد جلسة المجلس في يوم 29 أيار.

سارعت المقاومة إلى إبلاغ رئيس مجلس النواب السوري في دمشق بهذه الخطة و لم أستطع العثور على مرجع تاريخي موثق يحدد الطريقة الفعلية التي عرف بواسطتها رئيس مجلس النواب سعد اللّه الجابري بالنوايا الفرنسية.

و لكنه قرر فجأة إلغاء جلسة المجلس في الساعة الخامسة مساءًا و قام بإخلاء مبنى مجلس النواب من النواب والوزراء، و بقي مبنى المجلس في حراسة قوة من الدرك مؤلفة من ثلاثين دركيا. كان الدرك مسلحين بالأسلحة الفردية الخفيفة.

لم يتوقع أحد أن يهاجم الفرنسيون البرلمان بالأسلحة إعتقاداً منهم بتقيد الفرنسيين بالحصانة البرلمانية التي يتمتع بها هذا المبنى و من فيه.

في تمام الساعة السادسة وخمسين دقيقة... فتح جنود الحامية الفرنسية المرابطون في شارع النصر النار على المواطنين الذين خرجوا في مظاهرات احتجاجية..

وفي نفس اللحظة دوى صوت القنابل وطلقات الرصاص وهي تنطلق من دار الأركان الفرنسية تجاه البرلمان، ولم يطل الوقت حتى كانت جميع المراكز الفرنسية في دمشق تشارك في إطلاق الرصاص والقنابل، فيما تقدمت المدرعات الفرنسية لتوجه نيرانها باتجاه مبنى البرلمان بكامل قوتها، بينما استحكم رجال الدرك السوري ورجال الشرطة المولجون بالدفاع عن البرلمان وراء متاريسهم، وشرعوا في مقاومة ضارية لوقف تقدم القوات الفرنسية، معتمدين على أسلحتهم المتواضعة، رافضين الاستسلام لقوات المستعمر، ومدفوعين بحب الوطن والدفاع عن عزته وكرامته.

ولم يمر وقتاً طويلاً حتى أخذت ذخيرة المقاومين تنفذ، والخسائر بين صفوفهم تزداد، وهم يقاتلون في مواجهة آلة عسكرية تفوقهم قدرة على نحو كبير.

واستمروا بالقتال حتى نفذت ذخيرتهم، عندها اقتحمت القوات الفرنسية مبنى البرلمان لتنفذ أبشع جرائمها الوحشية، بتمزيق أجساد الناجين من المقاومين بالسواطير والحراب.. والتمثيل بجثث من استشهدوا.

ومن بين المدافعين الذين كان عددهم ثلاثين مقاوماً، استشهد ثمانية وعشرون، وبقي اثنان من عناصر أمن المجلس النيابي، هما (شهير الشراباتي - ورد في بعض المراجع باسم شهير الترياقي أو الشرياتي) و (إحسان بهاء الدين) اللذان استطاعا الفرار والنجاة من الموت المحقق بأعجوبة.

بالإضافة إلى الشرطيين (إبراهيم الشلاح) و (محمد مدور)، اللذين تظاهرا بالموت بعد أن رميا نفسيهما بين القتلى، ليصبحا الشهيدين الحيّين، وليرويا فيما بعد وقائع هذه المجزرة الرهيبة.. (كما يذكر أبناء عائلة برنية أن شقيق الشهيد (عبد النبي برنية – محمد برنية -) كان موجوداً وتعرض لنفس المعاملة، ولكن اللّه كتب له النجاة وأصبح مختاراً لحي برنية فيما بعد.

وقد تم التمثيل بأجساد الشهداء أشنع تمثيل... وقد شوهدت بعض الجثث بلا آذان... وبعضها مقطعة الأيدي... وبعضها مفقودة العينين.. كما شوهدت آثار السواطير على أجسامهم بشكل تقشعر له الأبدان.

سيعود لهذا المجلس ألقه بعد أن اجتاحه نواب التصفيق والتهليل والهتاف، وسيبقى منارة للحرية والديمقراطية في سوريا القادمة.

آخر الكلام: يقول أحمد شوقي

سلام من صبا بردى أرق
ودمع لا يكفكف يا دمشق
دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم أنه نور وحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

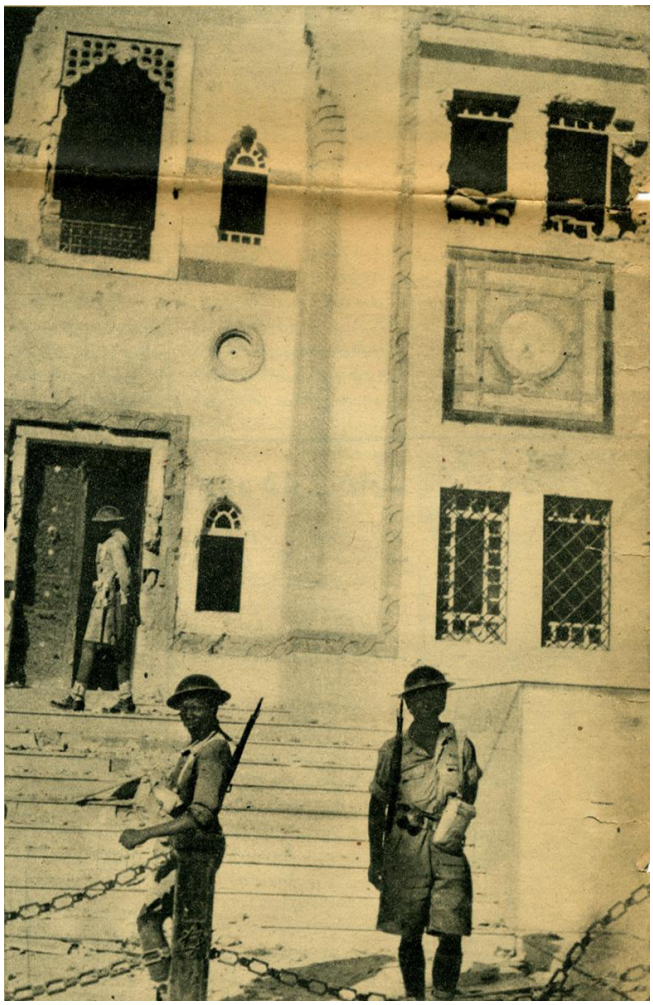

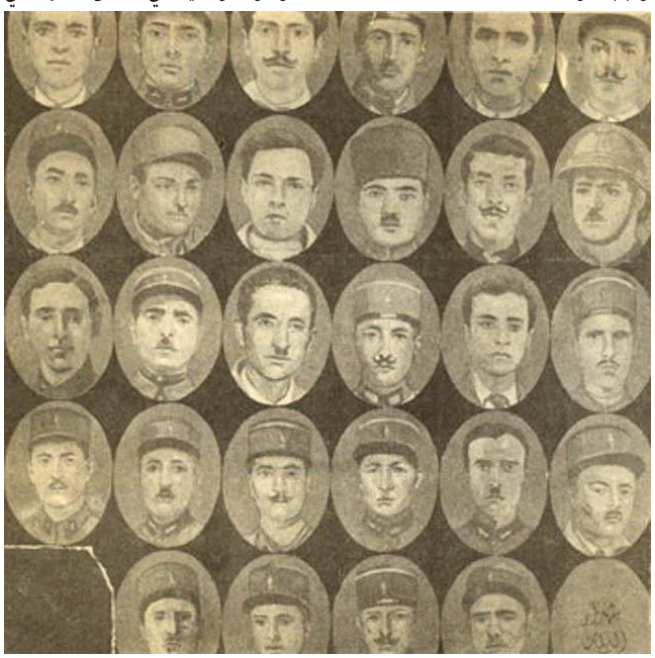

شهداء الدفاع عن المجلس النيابي من رجال الدرك والشرطة السورية - شهداء 29 أيار

صامويل هنتنغتون في:
صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي

■ ياسر مرزوق

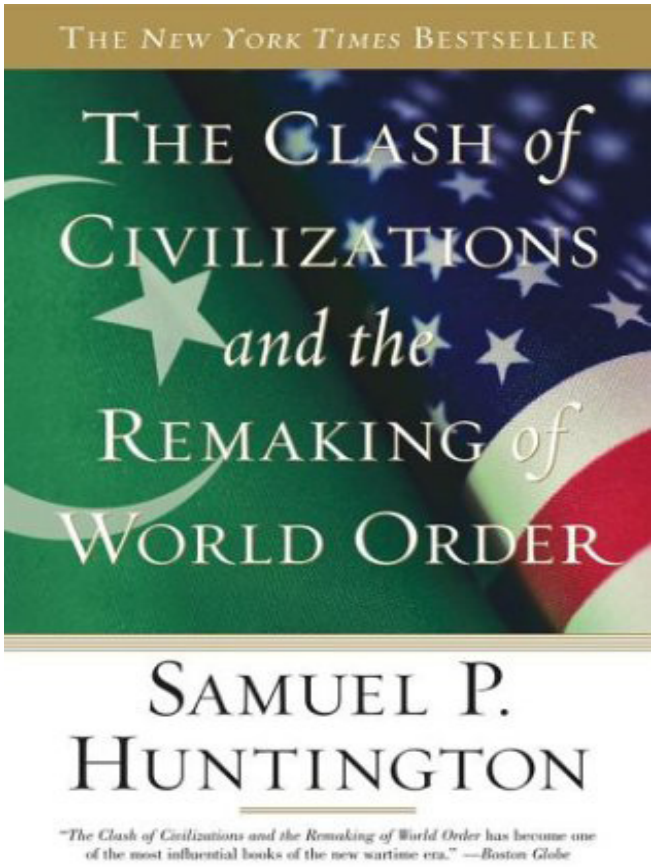

كتابنا اليوم عنوانٌ أضحى عَلَماً على هذه المرحلة من التاريخ البشري، ولا يزال يفرض نفسه في سياق البحث في القضايا الدولية، سواء أكانت فكرية وثقافية، أم سياسية واجتماعية، أم اقتصادية وتنموية، وربما جاز لنا أن نقيس شيوع مصطلح "صراع الحضارات" بما كان يروج خلال فترة الحرب الباردة، من مصطلحات ذات حمولة إيديولوجية ومضامين سياسية هي البضاعة الفكرية التي كانت تُطرح للتسويق على الصعيد الدولي، في تلك الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية والتي استمرت إلى سقوط حائط برلين، ثم انهيار الاتحاد السوفيتي وما استتبع ذلك الانهيار من انحلال الكتلة الشرقية الأوروبية بالكامل.

وكاتبنا اليوم المولود في أمريكا عام 1927 كان أستاذاً للعلوم السياسية في جامعة هارفرد العريقة برز لأول مرة في الستينات بنشره بحثه "النظام السياسي في مجتمعات متغيرة" حيث تحدى النظرة التقليدية لمنظري التحديث الذين يرون أن التقدم الاقتصادي والاجتماعي سيؤديان إلى قيام ديمقراطيات مستقرة في البلدان حديثة الاستقلال. وانتهى إلى القول بأنه لكي نفهم النزاعات في عصرنا وفي المستقبل علينا فهم الخلافات الثقافية، والثقافة بدلاً من الدولة يجب أن يتم القبول بها كطرف وموقع للحروب. لذلك فقد حذر الأمم الغربية بأنها قد تفقد زعامتها إذا فشلت في فهم الطبيعة غير القابلة للتوفيق للاحتقانات المتنامية في حينه، كما عرف بتحليلاته للعلاقة بين العسكر والحكومات المدنية وبحوثه في الانقلابات حول العالم، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن الحادي والعشرين سيشكلون الحضارات، خلافاً للحضارات السابقة التي شكلتها دول قومية المنحى وفي كانون الأوّل عام 2008 رحل أستاذ مادة العلوم السياسية الأمريكي، صامويل هنتنغتون. ولكن يا ترى هل أخذ هنتنغتون معه إلى قبره أيضاً عبارته التي أصبحت مشهورة عن "صراع الحضارات" والتي كان لها الأثر الأكبر على السياسة الأمريكية الخارجية.

صراع الحضارات أو تصارع الحضارات "The Clash of Civilizations" نظرية استنبطها هنتنغتون مفادها أن ثقافة الناس وهوياتهم الدينية ستكون سبباً رئيسياً للتصارع في حروب قادمة حول العالم. هذه النظرية نشأت كردّ فعل لمقالة "فرانسيس فوكوياما" "نهاية التاريخ" التي ظهرت عام 1992. ففي عام 1993 أشعل هنتنغتون نقاشاً مستعراً حول العالم في العلاقات الدولية بنشره في مجلة "فورن أفرز" مقالته "صراع الحضارات" التي أثارت عاصفةً من الجدل بين مؤيد ومعارض، مما دعاه للتوسع في مقالته ونشرها في الكتاب موضوع قراءتنا اليوم ونظرية هنتنغتون مبنية بعقلية البحث عن عدو، أي توفير سياسة خارجية مبنية على دوام حضور العدو في الفكر السياسي الغربي مخالفاً بذلك "فوكوياما" صاحب "نهاية التاريخ" الذي أكد نهاية الصراعات السياسية العالمية وظهور عالم يغلب عليه الانسجام، إذ أن الليبرالية الديمقراطية برأيه ستكون التشكيل النهائي لكل دول العالم، بينما هنتنغتون يرى أن ثقافات قديمة في تاريخها وهادئة صامتة في أوانها ستظهر على الساحة وستشكل العدو القادم للحضارة الغربية كالإسلام والصين. و يستند هنتنغتون في أطروحته حول صدام الحضارات إلى تجدد الهويات الثقافية للشعوب واصطدام هذه الهويات بعامل التغريب في المجتمعات غير الغربية.

فالصراعات ما بعد الحرب الباردة برأيه ستكون أكثر وأعنف، مستندة على أسس ثقافية "غالبا حضارية" مثل الحضارات الغربية والإسلامية والصينية والهندوسية، بدلاً من الأسس العقائدية كما كان الحال خلال الحرب الباردة ومعظم القرن العشرين، هذا التصنيف الثقافي سيصف العالم بطريقة أفضل من النظرة التقليدية للدول المختلفة ذات السيادة.

كما يرفض هنتنغتون قسمة العالم إلى شرق وغرب أو شمال وجنوب ويعد ذلك من الأساطير التي اصطنعها الغرب وهو يفضل الحديث عن مفهوم "الغرب و الآخرين" حيث يعود إلى التأكيد على أطروحته التي تقسم العالم إلى الغرب وبقية البشر، ويحدد هنتنغتون مصادر النزاع بأنها تعود إلى اختلاف التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأكثر أهمية هو الدين. كما تعود إلى أن العالم بات مكاناً صغيراً، وازداد التداخل بين شعوب من حضارات مختلفة. كذلك تعود إلى عمليات التحديث الاقتصادي والتغيّر الاجتماعي، في عالم ينفصل فيه الناس عن هوياتهم الخاصة العميقة الجذور، وإلى أن نمو الوعي الحضاري يتعزز بالدور المزدوج للغرب. فمن ناحية، الغرب هو في قمة القوة، وفي الوقت عينه، وربما نتيجة لذلك، هناك عودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية باحثة عن هوية مفقودة

يبني هنتنغتون رؤيته للتفاعل بين الحضارات على عدد من الحقائق العلمية:

1 - لقد انتهى الآن توسع الغرب وبدأت المواجهة مع الغرب:"أطماع الغرب في فرض عالميته تسوقه إلى الدخول أكثر فأكثر في صراعات مع الحضارات الأخرى و خصوصاً مع الإسلام و الصين. و ظهور حروب حدودية على المستوى المحلي، خصوصاً بين المسلمين و غير المسلمين تثير قيام تحالفات جديدة و تؤدي إلى تصعيد العنف مما يجعل الدول العظمى تحاول توقيف هذه الحروب" الفصل الرابع من الكتاب.

2 - استحالة إمكانية حدوث تفاعل بين الحضارات، بل وجود خطوط حادة تفصل بين الحضارات وهذا هو الوضع المهيمن على مدى التاريخ ويؤكد هنتنغتون على مخاوفه المزعومة على الحضارة الغربية في الفصل الثاني من الكتاب "إن ميزان القوة بين الحضارات قد تغير والتأثير النسبي للغرب آل إلى الزوال، و في نفس الوقت فإن القدرات الاقتصادية والعسكرية والسياسية للحضارات الآسيوية آخذة في النمو، والإسلام من جهة أخرى يتفجر ديمغرافيا مما سيؤدي إلى ضرب استقرار البلدان الإسلامية والبلدان المجاورة لها، وأخيراً أصبحت الحضارات غير الغربية تفرض وجود قيم ثقافاتها الخاصة بها ".

3 - أصبح النظام العالمي يمتد إلى خارج حدود الغرب وأصبح ينتمي إلى حضارات متعددة، في الوقت نفسه خفّت حدة الصراعات بين دول الغرب نفسه مما يؤهله إلى الوحدة: "إن بقاء الغرب مرهون بتأكيد الأمريكيين لهويتهم الغربية و أنه يجب أن يتحدوا لضمان حيوية جديدة لحضارتهم. إنّ تجنب حرب شاملة بين الحضارات ممكن إذا سلم الزعماء السياسيون في العلم كله بأن السياسة الدولية قد أصبحت متعددة الحضارات و تعاونُوا على المحافظة على هذا الوضع القائم" الفصل الخامس من الكتاب.

كما يتحدث هنتنغتون ملياً عن النزاع ما بين الحضارتين الإسلامية والغربية، الذي بدأ قبل 1300 عام. ويشرح "مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وانبعاث القومية العربية والأصولية الإسلامية، وتزايد اعتماد الغرب على نفط دول الخليج العربي، واندلاع حروب عديدة بين العرب وإسرائيل بفعل الغرب".

يخلص هنتنغتون إلى نتيجة مفادها أن "الحضارة الغربية هي غربية ومدنية في آن واحد. والحضارات غير الغربية تحاول أن تصبح مدنية، من دون أن تصبح غربية وفي المستقبل المتصل لن تكون هناك حضارة عالمية، بل سيكون عالم من حضارات مختلفة، وعلى كل منها أن تتعلم التعايش مع الأخرى". التعايش بما تحتويه الكلمة من إقرار بالاختلاف الذي وفق هنتنغتون لا بد أن يُتحول إلى خلاف.

إن جاز لي الحديث عن دافع هنتنغتون لابتداع نظريته آنفة الذكر، فهو يقينه بدخول الحضارة الغربية "الرأسمالية" مرحلة الأفول استناداً لحتمية صعود الحضارات وسقوطها، وإدراكه الحاجة لابتداع عدو خارجي يطيل عمر هذه المنظومة ويوحدها، عن عميد المؤرخين الغربيين "أرنولد توينبي" في تحليله لنظام سير الحضارة كيف تبدأ وكيف تموت ننقل: "إن الحضارة تبدأ من الأقلية المبدعة التي تهتدي إلى الحلول السهلة التي تختزل الجهد والوقت وتصل إلى أفضل النتائج بأقل الجهود، فهذا المبدع، أو هذه الأقلية المبدعة، تقود القافلة بأناشيد الإعجاب التي تهتدي إلى أعظم الثروات الكامنة في الإنسان لاستخدامها على الوجه الأمثل، وحين يفتح هذا الطريق؛ فإن البشر والأطفال ليدهم استعداد للاستمرار في بذل الجهود وعدم التوقف عن الكد والكدح مادامت العلاقة بين الجهد والمردود لصالح المردود، ولكن الحضارة تبدأ بالانهيار حين تبدأ العلاقة بين الجهد والمردود بالاضطراب، وذلك حين يبدأ سهم الجهود بالارتفاع، وسهم المردودات بالانخفاض، هنا تبدأ النفوس بالانطفاء والتراخي، والهمم بالتقاعس والتقاعد عن بذل الجهود غير المثمرة، وهنا يتغير الوضع من الإبداع إلى التكرار الممل، لأنه لم يعد هناك وقوف كافٍ من العواقب والمردودات المغرية، فتنباطأ الحركة، وعند ذلك يتحول الذي كان يقود الناس بإبداعه وبأناشيد الإعجاب، ويستبدل بموسيقى أناشيد الفرح موسيقى الكرابيج والسياط التي تهوي على الأجساد كي تستمر في الإنتاج الذي لا يعود بما يغني عن المنتج شيئاً، فانهيار الحضارة يبدأ عند تحول الأقلية المبدعة الموقظة لشهية الناس إلى السعي الحثيث والتعاون على زيادة الثواب على جهودهم، عندما تتحول هذه الأقلية المبدعة إلى أقلية متسلطة تسوق الناس بالقهر والإكراه ".

بوستر معدني للأب القائد

■ بقلم: علاء آلرش
■ لوحات الفنانين: ناصر كو و محمد عمران

(1)

تشير التقارير أنهم حالما أنهوا عشاء زفاف (هالة)، عادوا إلى منزله لتفقد غيابه، عثروا على كل الأشياء إلا هو. في شقته وأخته المشتركة، كانت إحدى المرآتين المذهبتين، هدية زواج هالة، محطمة قطعاً زجاجية منثورة، كأنها انفجرت في الشقة. كأن ألواناً حديثةٍ نفرت من خيال المرآة، من داخلها، ألواناً صناعية أولاً الرصاصي، الفضي البارد، ثم تصاميم لأبنية صناعية رمادية، مخططات أنفاق مترو، هندسات حدائق مائية معلقة، بوسترات تحتفي بالآلات، موديلات كاميرات، قارئات السي دي، بوسترات أفلام لم يرها أحد من قبل، كانت مبعثرة. وعثروا على ثلاثة ربوتات آليين، بدلاً من العثور على (تيم).

رغم الفوضى رائحة الشقة كانت منعشة. لا آثار دماء أو أعضاء مبتورة. (تيم) اختفى، وحل مكانه ثلاثة ربوتات بحجم الأقزام، يرتدون ملابس بيضاء، لا آثار عراك أو جريمة عليها. حار المحققون البوليسيون في أثر اختفاء (تيم)، وتصنعوا تهدئة بال أخته (هالة)، التي ما تزال بفستان عرسها، بينما عريسها (هشام) يقف قربها حائراً في حل لغز الرجال الآليين الثلاث.

تشير المعلومات الرسمية، بأن قلعة حمص في المدينة القديمة سقطت في يد المتمردين، قبل أسبوع واحد من زفاف (هالة)، وانضمت قلعة المدينة للأحياء المتعرضة للقصف العنيف والمتواصل، الذي يصل أثر قوته إلى نافذة (تيم)، فيرتج زجاج المنزل الواقع في النواحي المحمية من حمص من قبل العسكر. من نافذته يتأمل (تيم) سماء الأحياء المتمردة؛ رمادية أو سوداء، ترتفع منها خيوط دخان بيضاء، وأصوات آلام بعيدة.

أشارت التقارير الطبية والمشكوك بصحتها، أن الهزات العنيفة من جراء القصف تفلت برؤى من خيال (تيم). والتقرير الطبي الوحيد الموثوق، حدد أن كل اهتزاز في الأشياء داخل غرفة (تيم) المعزولة، من جراء القصف المدفعي، يسبب على الأقل تقافز سيدياته الموسيقية، أفلامه الدي في دي، وكومبيوتره الأبيض. ترتج الأغراض من حول (تيم)، ينفلت بعدها سيل من رؤى خياله، وأحياناً يفرز ذكريات من الماضي لا علاقة لها بالعنف أو الموت.

" قلعة الضيعة ليست كقلعة المدينة، بل من حولها الطبيعة"، يتذكر (تيم) مشاويره السرية مع هالة إلى قلعة الضيعة. يصعدان التل معاً، كل خميس بعد المدرسة، وهالة تردد طيلة طريق الصعود بين تفرعات المنحدر: (اهدر يا تيم.. اهدر متل السيارة... سنصل.. عنّ عنّ عنّ.. أو زمجرّ، زمجرّ متل الأسد.. سنصل)، وطاقة خفية تكتسح جسد (تيم)، و تمد ذهنه بالخيال، وهو يلهث صعوداً. توحي له أخته بحماسها، بأنه أضخم من حجمه، أوسع من جسده، فيستعين (تيم) بالخيال لاحتمال الصعاب الشاقة. يصل للقلعة، ومن ذلك الارتفاع الشاهق تمتد التلال الخضراء محيطة بالضيعة، حتى أطراف البحر. وشعر (هالة) يتطاير، مع رائحة جسدها المتعرق. " آه.. لتلك الرائحة"، يتذكر (تيم) رائحة الضيعة في غرفته الحمصية، و تهتز الأشياء مجدداً جراء قصفٍ جديد. تبتعد قلعة الضيعة عن الذاكرة، وتبقى رائحة شعر (هالة) تعبق، ويحل واقع المدينة المدمرة.

جدران شقة الأخوين هالة وتيم، طبقة تحت تراكم البوسترات. صور تكرر موضوعاً واحداً على الحيطان؛ الأب القائد والطبيعة. بوستر شمس وسماء زرقاء ملصقاً أمامها صورة للقائد. القائد كالأمل أمام أزرق السماء. بوسترات أخرى؛ القائد ثابت على كتفه نسر، أو من خلفه الغابات الربانيّة، أو ينظر شزرا إلى ملكوت الشمس. لا بوستر يرينا الأب القائد ينظر إلى الأسفل، إلى العالم الدوني. هكذا وصفت التقارير بوسترات (تيم) وتصاميمه. في غرفة (تيم) الجدار طبقة تحت البوسترات، وهناك توقيع باسم (تيم) الصغير على كل بوستر، مخطط بأسود نبطي، مع ضربة حداثة.

دخلت (هالة) الغرفة على عجل، وشرحت لأخيها الأصغر ما تنوي القيام به: (لا تقلق عليّ تيم)، ودون أن تأبه للعتمة التي تخفي ردة فعل (تيم)، قالت أنها ستمضي الليلة في منزل صديقتها (سحر). الإضاءة الخافتة لا تسمح برؤية تعابير وجه (تيم)، ضوء الكومبيوتر ينير لمعة خده، وغموض الغرة السوداء. يفكر، وهو مستغرق في تصميم بوستر جديد: " هذا ما احتاج فقط، هذا البوستر الذي يقنع (هالة)، بأن القائد ضحية. سأصمم بوستر للقائد يبديه فريسة أو ربما غزال. المهم أن يُصمم القائد ضحية، لأجل (هالة) "، قرر (تيم) بداخله، والحيرة تبدي على وجهه عجز الخيال عن تصوير القائد كضحية ببوستر. حركة يد (تيم) أسرع من إيقاع موسيقى الغيتار الإلكتروني الضاجة في السماعات الموسيقية. " هل يمكن أن يُفترس الأب القائد من قبل نمر ؟ لا.. كيف أضع الأب القائد محل الفريسة ؟ القائد نسر، وليس غزالاً متدلياً في فك نمر آخر. آه. تعبت من البحث المتواصل". كانت كلما احمرت عينا (تيم) من حرارة الكومبيوتر، يتذكر عينا والدته الضريرة، تفتحان للمرة الأولى، بعد نجاح عملية عيونها الجراحية.

أجاب تيم أخته: (حسناً هالة. افعلي كما تشائين)، قال متصنعاً اللامبالاة، مستغرقاً في التصميم، دون أن يكلف نفسه عناء النظر إليها وهي تهم بالرحيل، مستندة إلى باب الدار بانتظار رده. لكن ما أن خرجت هالة، حتى قفز (تيم) عن كرسيه، وتنصت من خلف باب الدار، خطواتها على درج الهبوط. خرج من البناء خلفها، وشرع في ملاحقتها في الحي الهادئ الذي يقطنان. وحين استوعب (تيم) رغبتها في العبور إلى الطرف الآخر من المدينة كان الوقت غروباً. سارع من خطاه، علّه يمنع أخته الوحيدة من وصول أحياء المتمردين، حيث القصف المستمر يوحي

بالموت.

" هالة، أختي اليوم إلى جانب المتمردين"، كان يردد لنفسه، وهو يركض خلفها، "هكذا ترى هالة الأمر. تعتقد أن المتمردين ضحايا. آه.. مهما حاولت، لن أعيدها إلى الصواب" تأفف (تيم)، وهو يدرك أن خطاه لن تلحق بـ(هالة) التي بقي يفصلها شارعٌ واحدٌ عن نقطة العبور. "لن تعبر (هالة) خط التماس وحدها. مستحيل، أن تمر إلى الأحياء المتمردة. ستصبح بخطر"، كان (تيم) يُمني نفسه لاهثا. وبلحظة، فوق الأسلاك الشائكة الفاصلة لمحها تعبر. (هالة) تعبر في العتم كشبح، وتغيب في الطرف المتمرد لحمص، كأنها خفّت كملاك من الشر، وطارت من عوالم (تيم)، إلى العوالم التي يبنيها الثوار. ربما ذكرت تقارير المحققين هذه اللحظة من حياة (تيم)، حيث يقف وحيداً أمام الأسلاك الشائكة، وخياله يتطاير يأساً: "هل سيؤثر بوستر القائد ضحية بهالة حقاً ؟ ربما لن يؤثر بها "

توجه إلى منزل صديقتها (سحر) على الفور: (هالة. هالة. عبرت للأحياء المتمردة. شفتها بعيوني) ارتبكت (سحر) من حاله الهستيري، كانت وحيدة، بفستان فضي كأن الأصدقاء غادروها للتو. أجلسته على الكنبة، وهو يصر: (قالت هالة أنها ستقضي الليل عندك) وهدهدت سحر مرة أخرى على رأسه، وهي تقول: (لا تقلق. اهدأ. اهدأ. بإمكانك البقاء هنا الليلة). شد (تيم) على زندها مترجياً: (أين ذهبت هالة ؟ أخبريني)، و (سحر) تقدم له بأصابعها النحيلة كأس العصير. رمق للمرة الأولى فستانها، ميّزه فضي اللون، كان لا يحب هذه التصاميم المدينية لفساتين الإناث. بينما أرخت (سحر) كفها على فخذه، وصرحت كأن العشق تهمة: (أختك عاشقة)، وفاضت بعينيها هي شهوة جامحة للعشق، حتى أنها تنهدت، ورفعت طرف فستانها عند الكتف. قال (تيم) بطريقة آمرة: (هل بإمكانك تغيير فستانك ؟ على الأقل اللون). تحركت (سحر) بطواعية، دون أن يثيرها الفضول حيال طلب تيم، خلعت شالها أولاً، ثم سألت، بعد أن بدلت الفستان: (هل تبقى هنا الليلة ؟) قال تيم: (سنترافق للبحث عن هالة). كانت سحر ترغب أن تسأل: لماذا لا تحب الفضي ؟ إلا أنها صمتت، وفعلت. خطورة عبور الأسلاك الشائكة أخر سؤالها عن هذه الحساسية لدى (تيم)، حيال لون فستانها الفضي.

بحثا سوية عن (هالة)، التي عبرت ليل البارحة، من نفس المكان نحو المجهول، الغريب أن صوت الانفجارات قد توقف كلياً في الحي المتمرد. وساد صمت خانق، في دمار أضخم من قدرة البشر على الخيال، فإنفلتت رؤى (تيم). بعد عدة خطوات، شعرا أن بإمكانها رفع رأسيهما لرؤية الأحياء، لم يتبادلا كلمة في الدمار، والخراب يجعل إمكانية وجود حياة ضئيلة. بين الأبنية المهدمة، وبين الملابس المختلطة ببقايا أعمدة حجرية، خشي (تيم)، أن يعثر فجأة على (هالة)، جثة ملقاة برصاصة، كألعاب الأطفال.

(لماذا اللون الفضي بالذات؟)، سألت سحر أخيراً، وهما يمشيان ببطء في حجم الصمت الليلي:(أنت رائع يا (تيم)، تشعر المرأة بالحماية، لكن ما قصة اللون الفضي ؟). أجاب (تيم): (ليس الفضي وحده. أغلب الألوان الصناعية، كل ما له لون المعدن الحديث. أفضل ألوان الطبيعة)، قال (تيم) وكأن ذئباً قديماً سينفجر من داخله، وتذكر والدته الضريرة حين فتحت عينيها للمرة الأولى بعد العملية الجراحية الحكومية. حضر الأب القائد بنفسه، عملية رفع الشاش كما أشارت تقارير المستشفى الوطني. نُظم حفل خاص للخمسين ضرير، ورفع الشاش عن أعينهم بحضور كبار المسؤولين. كان الأطباء يطلبون منهم، الواحد بعد الآخر، الاصطفاف في منتصف القاعة تماماً، وعدسات الكاميرات توثق الحدث التاريخي، حيث يقع نظر المعافون على صورة الأب القائد وأبيه الخالد. يقول الطبيب: (حسناً أم تيم. قفي في المنتصف. هكذا. ارفعي رأسك قليلاً. سأرفع الشاش، وحالما ترين شيئاً ما، مهما كان، أي لون، أخبريني) ويصمت الحضور. نجحت عملية الأم، ورأى المبصرون أول ما رأوا، صورة الأب القائد من خلفه، جنان الخلد يحضنه أبيه الأزلي.

غابت ذكرى العملية عن ذهن تيم حين عاودته فكر العثور على أخته الهاربة هنا، جثة كلعب الأطفال. أرعدت الفكرة (سحر) أيضاً، وكررت لتيم في عمق حي المتمردين المقفر: (بأن ألوان الطبيعة أجمل من الألوان الصناعية). تابع المسير بحثاً عن أخته، متأبطاً جذع (سحر) بأشد، حتى شعرت بعضلاته تتوتر. تهيأ ل(تيم) مرة أخرى، في الخراب الرمادي رؤية الرجال الآليين الثلاث، في عمق حي المتمردين. كان الفتيان قصاراً لدرجة القزامة، فصنّفهم (تيم) وهما.

ربما رغبةً بنسيان الموت، أو ربما لإبعاد شبح جثة (هالة)، انفلت خيال (تيم) في الخراب، يرؤى من الطبيعة: " نضيف سهلاً أخضراً هنا، فيصبح المكان أجمل، وجدول نهري صغير بدلاً من البناء المهدم. هنا نتخيل تلة صنوبر، حقل زيتون يلعب فيه أطفال، ثم بئر ماء حجري، وشتلات نبات، نباتات". راح خياله يقذف على الواقع المقلق عناصر ناعمة من الطبيعة: " ورود أيضاً، ثم حقل من زهرة دوار الشمس". تتقافز من خياله أشجار دائمة الخضرة، لتصنع في الحي غابةً كثيفة. كما في الأفلام التي يهواها (تيم)، كانت هذه اللحظة، حيث بطل يفيض على الواقع طبقة، فوق طبقة أخرى من واقع أقدم. بينما (سحر)، بين شهقة وأخرى، تكز بقوة على زنده: (لن نعثر على هالة. دعنا نعود. أتبات الليلة عندي ؟)، وهمسة الريح في أشجار رؤى (تيم)، "تتكرر بين نفحة وأخرى، من رائحة الدمار.

(2)

تناهت إلى سمع (تيم) ضجة قادمة من الشارع، وعرف منها عودة أخته (هالة). عند مدخل البناء، نادت لشابين لمساعدتها: (شباب. ممكن تساعدوني ؟ هاتين المرآتين. حسناً. أنتم ولاد حارتنا. يلا. شكرا. شكرا. انتبه على المرآتين من فضلك). قفز (تيم) من خلف شاشة الكومبيوتر، أشعل التلفاز، كما تركه في المرة الماضية، على قناة (ناشيونال جيوغرافيك) التي تعرض نمراً في سهوب إفريقيا، ينصب فخاً لغزال.

وصلت المرآتين قبل (هالة) إلى الشقة، برواظين مذهبين من عصر مملوكي عتيق، هكذا خيل ل(تيم)، حين رآهما للمرة الأولى. دخلت (هالة) بعد أن هبط الحمالين السلم. دون أن يتزحزح (تيم) من مشهد المطاردة الحيواني، سمعها تقول:(تيم. كيفك ؟). تنفست (هالة)، وألقت شالها على الكنبة، ثم أصرت عليه أن ينظر في عينيها: (اسمع تيم. أرجوك)، وأخبرته بصراحة أنها تنوي الزواج الأسبوع القادم. عثرت على (هشام) رجل حياتها: (أرجوك افهمني. أنا أحبك أكثر من أي شيء) بدت وكأن الجملة فاضحة أكثر من اللازم، لكن (هالة) تابعت أن هشام هو الرجل الذي تتمنى الاستمرار معه. أزعجت نبرة الحزن في صوت (هالة) أذني (تيم)، والتزم الصمت، دون أن يسأل عن هوية المحبوب، مثبتاً بصره على القناة البيئية. بينما تبرر (هالة) بالخوف قرارها المتسرع بالزواج، بالخوف أن يصاب (هشام) قبل الزفاف، وتخاف على نفسها أيضاً، كأن (تيم) لا يكفيها. :(أحبك يا تيم. لكني أحتاج إلى حب من نوع آخر) أضافت، وهي تمسح كرسي الكنبة بإصبعها.

كان نمر إفريقيا على الشاشة يترصد هفوة الغزال أرضاً، والمطاردة أنهكت كلا الحيوانين. رغب (تيم) تذكير أخته الكبرى بفضل الأب القائد على العائلة، لكنه صمت. لم يذكر شيئاً عن ماضي والدتهما، فحسب التقارير الطبية، أصيبت عيني والدة (تيم) بالمياه الزرقاء، وقبل ولادته، حل بهما العمى التام. راحت العائلة تصف للأم الأشياء: (أنت تمرين قرب شجرة بنية أمي... المغيب برتقالي اللون...) تصف (هالة) للأم. وحين بلغ (تيم) السادسة من عمره، دخل المدرسة ليتعلم أن يصفّ لأمه الأشياء. مر اليوم الأول في مدرسة الضيعة بسلام، وعاد سيرا مع أخته إلى المنزل. لكنه لم يرو لأمه يوم مدرسته، ولا في اليوم الثاني، واستمر 3 أيام بصمت مطبق.

قلقت (هالة) على أخيها الصغير، وانتظرته في باحة المدرسة بعد انتهاء الدوام. سألته: (هيا أخبرني ما بك؟ تيم.. حبيبي.. ما بكِ؟) وعبطت يده، حين ابتعدت الشمس كلياً عن فناء المدرسة، وخلت الصفوف تماماً. مازال يذكر حرارة طفيفة من يدها، تقدمت معه إلى حيث قادها، عبرا طوابق الصفوف الأعلى، دخلا قاعة صفه، وأشار (تيم) بإصبعه إلى أعلى السبورة.

تقر التقارير الإدارية المدرسية، بوجود صورة في إطار، معلقة أعلى السبورة في صف (تيم). في الصورة أفراد عائلة يرتدون لباساً أسوداً موحداً كمآتم الكوابيس؛ الأم، الأب، الأخوة والأخوات يقفون حول بعضهم بصمت جليل. قالت هالة: (لا تخف. هذه عائلة الأب القائد). وفي ذلك المساء، أخفت عن والدتها الضريرة، السر الكامن وراء صمت (تيم)؛ الرهبة من صورة عائلة القائد. شرحت لتيم: (لولاه. آه.. لا تخف هو يحمينا، أنا وأنت، من الأعداء والسارقين) وحكت لأخيّها الصغيّر تاريخ البلاد، كأن الأب القائد، أعظم الشخصيات، وأنهت بمسحة على شعر (تيم)، وهي تقول: (زمجر، زمجر كسيارة أو كأسد، عنّ، عنّ هيا، سنصل. أنت قوي)، وتكرر له كل خميس بعد المدرسة، صعوداً لقلعة الضيعة، بينما يوشي العرق جبينها بأنهار.

حين بلغ (تيم) الصف الثالث، تلقت العائلة اتصالاً من المستشفى الوطني، قال الطبيب: (تهانينا. أدرجت والدتك ضمن 50 عملية تجريها الدولة مجاناً. سنجري لها عملية العيون بعد شهرين. عليكم الانتقال إلى حمص)، وقدم الثلاثة إلى هذه الشقة، حيث يتحادث مع أخته، دون أن يرفع بصره عن الشاشة.

ترك (تيم) مشهد ملاحقة النمر للغزال على قناة الجغرافية العالمية لمرة واحدة. رفع بصره إلى المرآتين المذهبتين عند باب الدار، وألقى نظرة نهضت (هالة) على أثرها، وقالت: (ليس بإمكان هشام العبور إلى هنا لرؤيتك. لذلك، أرسل لك هدية. اختر أياً من المرآتين. هدية من عائلة هشام. واحدة لي، وواحدة لك. اختر أي منهما) رغم أن المرآتين متشابهتان، إلا أن (تيم) ميّز إحداهما بحدس غامض. مسّته طاقة ما مع أعماق المرآة المعتمة، ومن داخل برواظها المذهب، وأخته ما تزال تترجاه أن ينظر إلى عينيها.

قفز (تيم) عن الكنبة بهستيرية حين انتفض النمر على فريسته الغزال. وهبط قلبه من قوة الهجوم، فشهق شهقة عالية، راغباً ما أمكنه تجاهل حديث أخته. انتبهت (هالة) انتبهت للمرة الأولى، لما يعرض على شاشة التلفاز. النمر الآن يغز أسنانه في عنق الغزال، وهذا ينعش (تيم)، أكدت هالة حدسها ذلك من شهقة المتعة، وسألته: (مستمتع ؟) ثم نهضت بلا انتظار الجواب، وصرخت، وهي تتجه إلى غرفتها: (مازلت تفضل النمر. ألا يمكن أن تكون إلى جانب الضحية لمرة واحدة ؟ وحشي، متوحش).

عكست المرآتين الفاخرتين، عبر نور التلفاز، ألوان دماء الغزال من على الشاشة. بقي (تيم) طيلة الليل، يتأمل المرآة المذهبة، التي اختارها أو اختارته بحدس داخلي. ونفرت رؤية من خيال (تيم)؛ كان الضوء المتسلل من قناة (الناشيونال جيوغرافيك) يوضح انعكاس عيني (تيم) في عمق المرآة. رآهم مجددا، ثلاثة، بداخل المرآة، ثلاثة ربوتات بحجم الأقزام، يجلسون أمام كومبيوترات، كأنهم يشاطرون (تيم) المهنة؛ مصممو بوسترات. كأنهم من بلد أو من عصر آخر؛ الآلات التي تحيط بهم، وأشرطة الكابلات المعقدة، وحتى ملابسهم المبالغة بخفتها. رآهم كرؤية داخل المرآة، يصممون بمتعة، ويتحركون بميكانيكية، يغيرون بوسترات صممها (تيم) في الماضي. يستعملون برامجاً جديدة، لم يعرفها سابقاً. بدوا له فضائيين، ومتطورين من المستقبل، يدمرون الصور التي يعتقدها واقعية، ويكثرون من الألوان المعدنية، لمحو أثر أسلوب (تيم)، وألوان الطبيعة.

أطفأت (هالة) نور غرفتها، وأوقفت قناة (الناشيونال جيوغرافيك) بثها، وانطفأت في عيني (تيم) الرؤية داخل المرآة، فاختفى رجال المستقبل الآليين، الذين سيمحون أثر نعومة الطبيعة.

(3)

كانت تحضيرات الزفاف مقتضبة، (هالة) أصرت طيلة الأسبوع، وبطريقة ملحة على (تيم): (نحن نرغب بقدومك. ليس إلا عشاءاً متواضعا. هشام يرغب برؤيتك بيننا. وأنا أكثر) وأخبرته أنها ترحل إلى الأحياء المتمردة لتتجهز لعرس الغد.

اقترب بوستر القائد الضحية على الاكتمال قبل يوم واحد من زفاف هالة. كان على الصمم (تيم) أن ينغلق في غرفته المعزولة، بين ملابس رياضية، أحذية ملونة، وليس إلا شاشة الكومبيوتر، طيلة الأسبوع. شعر بدنوه من التصميم المتأمل، في تلك الليلة بالذات، عمل حتى الساعة الثامنة عصراً، فاحمرت عيناه، حتى السوار الأخضر على معصمه النحيل اتسع. تجنب طيلة السبعة أيام النظر داخل المرآة، كان يمر بجانبها في المنزل برهبة، ويتنفس الصعداء. وحالما يسرح للحظة في انعكاساتها، يعود لرؤية مصممي المستقبل الآليين، فيفزع. قوة جاذبة من داخل المرآة، كالحفر الفلكية السوداء، تتراءى له ببريق عوالم خفية وجديدة، يخشاها (تيم): (ربما كانت بوسترات هؤلاء الروبوتات موجودة حقاً في مكان ما)، وأسدل على المرآة ستارة رقيقة حمراء، بقيت ترتج كلما تصاعد صوت القصف المدفعي للأحياء الحمصية المتمردة.

ليلتها، انتظر حتى منتصف الليل، وتوجه سراً إلى منزل (سحر). طرق الباب بطريقة توسلية، وفتحت الصديقة هذه المرة بفستان بني محروق. أصر عليها (تيم): (أريد اللقاء بهشام قبل حفل الزفاف. أنت تعرفين أين أجده قبل الغد؟) رفضت (سحر) إطلاعه على مكان الثوار أولاً، ثم شرحت: (لا يجتمعون في أماكن آمنة). ثبت (تيم) بذكورية سينمائية عينيه في قلب عيني (سحر)، وأمرها بهدوء، وهو يدلك معصمها بين الألم والحنان: (بلى. ستفعلين)، فرضخت (سحر) بنشوة أنثوية طفيفة: (علينا الوصول إلى قلعة حمص القديمة).

وصول قلعة حمص القديمة، وفق ما أشارت التقارير العسكرية، كان مغامرة حياة. ربما وافق (تيم) بسرعة بإغراء من عناصر الذاكرة؛ قلعة، وإن تكن قلعة المدينة وليست قلعة الضيعة، وأنثى، وخطر. كل هذا يلهب خيال (تيم)، ويتردد في سره صوت (هالة): (زمجر. أنت أسد. زمجر أنت سيارة. زمجر أنت ضخم وكبير) في طفولة قلعة الضيعة، وها هو الآن يحاول الوصول إلى قلعة حمص المدينة. انفتح خيال تيم من أثر الذاكرة، ووافق على الرحلة في المجهول: (سنذهب)، قال لسحر.

وبعد أربع ساعات، وصلا قلعة حمص المدينة، التي لم يكن لها مطلاً شامخاً على سهل ما، أو تضاريس جبال شاقة تذكر بالزمان كما الحال في تلة قلعة الضيعة. (قلعة المدينة لم تعد إلا أحجاراً متراكمة قذرة، وسواقي مجارير) قال (تيم)، وتذكر المنظر الأول الذي اختاره لأمه الضريرة أن تراه بعد نجاح عملية العيون، بدلاً مما اختارته لها المستشفى. اصطحب والدته المعافاة، في ظهر ربيعي، إلى قلعة الضيعة طبعاً. أوقفها أمام منظر الجبال الغامقة، والسهب الممتد أسفلها حتى مدرسة الضيعة. رفاق المدرسة لم يتركوا لعملية والدة (تيم) أن تمر بسلام. شاع بين التلامذة بأن لعائلة (تيم وهالة) حظوة لدى مكتب الأب القائد: (لقد أجروا عملية لوالدته العمياء مجاناً. إنه مقربون من مسؤولين في الدولة)، هكذا كان يردد بعض أصدقاء المدرسة، خصوصاً الأشد فقراً منهم. وشاع نوع من العداء لأفراد عائلة (تيم) في نواحي الضيعة: (عملية عيون الواسطة)، حتى بعض الأساتذة كانوا يهزئون في الممرات، بهذه الجملة التي لا تحتملها هالة، (عملية عيون الواسطة)، وتوفيت الأم بعد شتاء من زيارتها مع ابنها لقلعة الضيعة.

(في قلعة الضيعة، أمام الجبال الشاسعة، تشعرين بالأشياء أكثر عظمة، ليس كهذه القلعة الملوثة)، قال (تيم) لسحر، ليخفف من قلقيهما في صمت حمص. (صح) أجابت (سحر)، ووافقت (تيم) على أن أهل المدينة لا يفهمون مواويل الضيعة التي تُدمع عيون أهل الجبل، بمشاعرها الواسعة. كررت سحر: (صح. بمشاعرها الواسعة)، كان (تيم) يتلفت من حوله، ليتأكد من ألا رجال آليين حديثين هناك في ظلام القلعة. وأصرت (سحر): (آه. نعم. ما تقوله جميل يا تيم) واقتربت منه أكثر، ثم تقدمت خطوات الهبوط على السلالم الحجرية المعتمة. وحين وصلا للقبو الرابع، عثروا على مجموعة من الشبان مجتمعين في ممر ضيق؛ قبو روماني لابنة كاهن الشمس. رحب الثوار بـ(سحر)، وطلبوا منها ومن مرافقها الانتظار لمقابلة (هشام).

تيقن (تيم) بأن رؤية غريمه تتطلب فقط عبور ممر صغير، لكنه مليء بالثوار الشبان. مرت ثلاث ساعات لم يتحرك فيها تيم، ولم يحادث الضيفين أحدهما الآخر، لكن خياله، بين الحين والآخر، يعود ليوهمه بأن المصممين الصناعيين مروا، بأنهم يغيرون بسرعة عملهم تصاميم المستقبل، في لحظات انتظاره العبثي هنا. انتفض (تيم) فجأة ربما من شدة رؤى الخيال، وبهستيرية بدأ يصيح: (هشام. هشام)، وحاول عبور الممر راكضاً. هجم باتجاه الشبان، فثبتوه أرضاً وركلاً، وتكاثرت أذرعهم على جسده الملقى في الممر كسمكة، وهو مازال يصيح باسم هشام، ويقول: (سارق. سارق).

حين تجرأت (سحر) على الاقتراب من الممر، صاح صوت من الطرف الآخر: (ما هذا ؟ من هذا ؟ دعوه ينهض)، أمر (هشام) الثوار: (اتركوه). :(هشام. جئت أخبرك بشيء واحد)، قال (تيم) وهو ينهض: (ها قد انتظرت هنا، أنا وسحر، أكثر من ثلاث ساعات في هذه القلعة القذرة. انتبه لما أقول. زواجك بأختي لن يتم. ليس تحكماً بها. بل لأن كل منا يبني واقعاً مختلفاً. وليس هناك إلا الواقع الذي سيظهر في أعمالي. هل تفهم ؟ لن توّهم هالة بواقع زائف). ودون أن ينوص صوت هذا الشاب المنفعل، لمح ثوار الممر دمعة يتيمة في عيني (تيم): (الأوضاع ستهدأ. والأمور ستعود بخير، والسيطرة تعاد إلى القائد. حمص الحقيقة هي ما أصمه). ثم استعاد (تيم) خطوة إلى الخلف في الممر، وهرع السلالم وحيداً. لاحقته (سحر)، يقطع نداءها حيرة الثوار، في صدى أرجاء القلعة المهجورة.

خرج من القلعة وولج الأحياء المدمرة. كان يريد أن يحقق بوستره المؤرق، بوستر الأب القائد ضحية، فاتجه على الفور لخطوط التماس، لكن مشهداً من الواقع، أبطأ خطوات هروبه من (سحر). وجد نفسه وسط صفوف من أهالي الأحياء المدمرة، تنزح هرباً من القصف، رحلة نزوح جماعي صامت. (تيم) مذهول في المنتصف يراقبهم، يمشون ليلاً كأشباح حثيثة؛ نساء بحجابات ريفية ملونة، وأطفال بلا قمصان مكتملة، وعجائز صامتون وصابرون بعيون قاسية من الخوف. نزوح جماعي في عمق الليل هرباً من الموت. مشهد لا متناه أمام عيني (تيم). العائلات كأنها نمل، قطعان حشرات سائرة وحكيمة، في عمق الحياة القاسي. من خلف قوافلهم الطويلة، تتراءى فجائر أولى للأفق، تمتد سماءً تبخش بلونها عينيه، بلون أحمر ممزوج بالرمادي. وهج معدني اخترق خياله الطبيعي الناعم: " من ينقذ كل هؤلاء ؟ "، تساءل (تيم) في سره، وكأن الشفقة الإنسانية تسللت سوية مع اللون المعدني إلى حساسيته. وشعر بأنه عثر على ضآلته؛ "بوستر معدني للأب القائد"، همس في صمت الجموع المهاجرة.

تشير التقارير أنه حالما أنهوا عشاء زفاف (هالة)، عادوا إلى منزله، عثروا على كل الأشياء إلا (تيم). أما في غرفته، فكأن المرآة المذهبة، هدية زواج هالة، الموضوعة عند باب المنزل، انفجرت في الشقة. كأن ألواناً صناعية جديدة نفرت من خيال المرآة، من داخلها، أولاً الرمادي، الرصاصي، الفضي البارد، واحتلت مكان عناصر الطبيعة الناعمة في بوسترات تيم. انفردت من المرآة تصاميم لأبنية مستقبلية، أنفاق مترو نحاسية، حدائق مائية معلقة بالمعدن، بوسترات تحتفي بالآلات، بالكاميرات، قارئات سي دي باردة، بوسترات أفلام عن عالم فضائي بلا حنين، لم يرها أحد من قبل، كانت مبعثرة. وعثروا على ثلاثة رجال آليين بحجم الأقزام، بدلاً من العثور على (تيم)، وغيابه لم يخلف إلا ألواناً طبيعية قروية، في غرفته المعزولة.

وحدها شاشة الكومبيوتر كانت مصانة، لم يلحقها ضرر، وبداخلها كان بإمكاننا رؤية بوستر لم يهتم به المحققون البوليسيون قدر عنايته. بداخل البوستر الأخير، درع معدني على صدر فارس مغوار، يشهر بيديه سيفاً حديداً قروسطياً. من تحته قوافل الشعب، ذعرون وخائفون، مقادون بالسلاسل إلى الجحيم، التي يتطاير لهيبها، ليشكل وجهاً إبليسياً مذعوراً. وحده الأب القائد يطير بحصانه الأبيض المجنح، ليقارع قوى الجحيم الشيطانية، بأسلحة تقليدية، ويحمي العالم.

صخر حاج حسين

تساوى الموت والحياة عند السوريين، وهذه لعمري لحظات استثنائية في القرن الواحد والعشرين. أسئلتنا لم تعد فكرية، أو ثقافية، أو حتى إنسانية. أسئلتنا باتت وجودية بامتياز. مرتكبو المجازر انفصلوا عن الواقع والتصقوا بتراث آباءهم وأجدادهم. لا ريب في أن الأمل كبير بالمستقبل، لكن الأحزان مهولة.

ماجد كيالي

كن سنّياً أو شيعياً أو إباضياً أو درزياً أو علوياً، كن مسيحيا كاثوليكيا أو بروتستنتياً أو أرثوذكسيا، كن يهودياً محافظاً أو إصلاحياً أو أرثوذكسيا، كن بوذيا أو هندوسيا أو مجوسيا، أو لا متدينا، المهم أن تؤمن بقيم الإنسانية قيم الحرية والعدالة والكرامة والمساواة... فما قيمة أي دين أو أي معتقد، تؤمن به، إن لم تكن تؤمن بهذه القيم المتضمنة أصلاً في كل المعتقدات السماوية والأرضية. هذا هو معنى القول: حاكم كافر عادل أفضل من حاكم مؤمن وظالم..

هالا العبد الله

وها أنا أدعس بقدمي على روحي وأفركها بشدة كي لا تنبت فيها زهور الحقد.. ولكن ليس هناك حزن كاف في الدنيا كي نتحمل كل هذا القهر

زويا بستان

أقسم بكل نقطة مي فيكي، أقسم ببيوتك المتكية على بعضا، بجواريكي المفشكلة، بعيون ولادك الزعران، بريحة خبزك، بأشجارك العتيقة أنو ضل حبك وشوفك أحلى أم بالعالم والأم بتلم مو هيك يا شام ؟!يالله لملمينا مرة تانية باشام ورجعينا لحضنك سالمين غانمين نحنا ما بيلبقلنا الكره نحنا ولادك، ولاد الياسمين..

خولة دنيا

ما أسوأ الحياد بكل شيء: من المشاعر، إلى الصداقة، إلى السياسة... أن تحاول ألبوح بمكنونات نفسك لشخص قريب... عيناه ترقبك بحياد ليجيبك بكلمة مبهمة لا تعني شيئا. أن تقف على حياد في خلاف بين شخصين.. حتى تكسب ود الاثنين... فيتم تحييدك من حياتهما معاً أن ترقب بحياد ما يجري في بلدك... ليحولك حيادك إلى صفر لا يزيد ولا ينقص من الصراع المصيري... أكره الحياد..

محمود محمود

بكرا لما وسائل الإعلام السورية المستقلّة والعربية والعالمية تكون عمتواكب عملية فرز الأصوات بانتخابات رئاسة الجمهورية السورية المقبلة، رح يكونوا موظفين قناة الدنيا والفضائية والإخبارية السورية عميشتغلوا بالتطريز والخرز بالسجون بانتظار محاكماتهم بتهم الفساد والتزوير وتلفيق الأخبار الكاذبة.

إياد عماشة

تذكرت بس كنت بالسنة الأولى بالجامعة.. كنت شبة ساكن بالمدينة الجامعية، وكان بعدها الوحدة السابعة للشباب قبل ما تتحول وحدة للصبايا. وكانت هي الوحدة يلتم فيها كل حدا ما عندو دراسة ومتفضي للشدة والأركيل والسهر وشرب المتة.. بهي المدينة تعرفت أول مرة بحياتي على شباب أكراد.. كنت ما بعرف عن الأكراد غير قصيتهون، انو بيشبهونا نحنا إلي من «الجولان»، يعني قضيتهون مثل قضيتنا، لا جنسية ولا حدا يعترف فينا. بس الأهم من هيك كان عندي اعتقاد انو كل كردي هو عبارة عن أهم موسيقي بسوريا.. :)

كريم العفنان

لست مسيحياً ولا أريد أن أكون، لست علوياً ولا أريد أن أكون، لست شيعيا ولا أريد أن أكون، لست درزيا ولا أريد أن أكون، لست كرديا ولا أريد أن أكون. انتمي «ميكانيكيا» دون اختيار للقومية العربية وللطائفة السنية وعندي ست «أرمنية».. وقرأت في منزل والدي (السلفي) الإرشاد الرسولي المسيحي ومآثر الحسين ونهج البلاغة وتاريخ الموحدين الدروز وكتاب (حياتنا الجنسية) وعلمت أن جدي لأبي يتحدث الكردية ببلاغة عالية ويطربني بزغ محمد شيخو.. أقول هذا الكلام لأن بعض الفسابكة يعتقد أن الوحدة الوطنية هي أن تكون جميع الطوائف والقوميات، وهذا إنكار لحقيقة حضورها في ثقافتنا، الوحدة الوطنية شعار فضفاض من مفرزات الأنظمة الشمولية. نحن شعوب وقبائل كما كل شعوب الأرض.. الوحدة الوطنية والإنسانية الحقة هي التناغم مع اختلافنا الثقافي ضمن المكون الواحد وإيماننا الرصين بالعيش المشترك تحت سماء واحدة برغم اختلاف آفاقنا.

عروة نيربية

الحرية لمحمد غنام، ولكل السوريين... وكما «دم الشهيد ما نسيانينو» كمان كل ساعة من عمر سوري يعتقل لطلبه الحرية... ما رح ننساها، ولا رح ننساه.

بدرخان علي

لو أن الميزانية المخصصة لـ«مجلس الشعب السوري» (رشاوي و رواتب ومصاريف وما إلى ذلك) صرفت على الثروة الحيوانية من تربية مواشي وأبقار ودواجن.. إلخ، ألم يكن ذلك أفضل للشعب وللحيوانات معاً؟

ميشيل شماس

عندما تسود دولة القانون والمؤسسات ويسود مبدأ المواطنة، فلا يهمني من يحكم إسلاميين أو علمانيين أو وسطيين.. طالما أن هناك دستور مدني ديمقراطي تعددي يحكمنا.

سمر يزبك

شو بدك تقتل لتقتل ما بقى رح تخلص القصة.. ورا كل صخرة.. تحت كل شجرة.. بقية كل بيت.. عم يخلق ولد للحرية...

عمر كوكش

لهم المجد، ولنا الخذلان.. ربيع الغزي.. ارقد بسلام

محمود الشرع

التخوين لدى المواطن السوري عموماً بسيط وسريع كشربة ماء.. مرض مزمن نتج غالباً عن خضوع المجتمع السوري لسياسات لا تسمح بالاختلاف والتنوع لعشرات السنين.

التخوين لدى السوريين ظاهرة مؤلمة تستحق البحث و الدراسة جديا من قبل مختصين.

حازم العظمة

حين أغلقوا جامعة حلب وطردوا الطلاب.. عاد الطلاب إلى مدنهم وقراهم.. فانتشرت في المدن والقرى جامعة حلب.. لكن سرعان ما عادوا.. ومعهم البلاد كلها..

علي قطيفان

لسنا كغيرنا.. نحنُ من تدمع أعينهم و تنقبضُ قلوبهُم بتلاوةٍ لعبد الباسط.. من يخشعون لصورةٍ عابرةٍ لحرفٍ حجر، جرحٍ أخدودٍ على سطح الذاكرة بلحظةٍ باعدنا الزّمنُ عنها، مع يقيننا أنها لن تعود.. من تُشعِل نظرةٌ دافئةٌ من عيني من نُحب رغبةً جامحةً لضمهِ، و هروب دمعةٍ من مأزق محاولةِ كبتها و هي تغلي في محجر العين من اللهفة..

نحنُ من نقضي إناء الليل سهراً، متخوفين و مُترسين على ما يمكن أن تعود به علينا سوء استخدام عادةِ المُكابرةِ و عادة الوضوح..

نحنُ من توقظ الصورُ ما لم يتمكن رسامُها أو مصوّرها أو راصفها، من وصولهِ من إدراك الحروق التي تخلفها تلك التصاوير بأعصابنا! لسنا كغيرنا.. بتشظينا و انفصاماتنا و صرخات أعماقنا...

طارق ملص

سيشارك أدب الثورة في بناء الدولة السورية الحديثة

كما شاركت قلة أدب النظام في هدمها...

ميخايل سعد

وللشبيحة أصناف:

شبيحة للأبد في الحولة من اجل بشار العلوي..

شبيحة للأبد في دير الزور من اجل بشار السني..

شبيحة للأبد في باب توما من اجل بشار المسيحي..

شبيحة للأبد في عفرين من اجل بشار الكردي..

شبيحة للأبد في السويداء من اجل بشار الدرزي..

أنا باسل شحادة شهيد الحب والفن والإنسانية

د. حسان عباس

باسم أمنا سورية، وطننا أجمعين

باسم الآب والابن والروح القدس وبسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا باسل حيث ترقد في أرض طاهرة مجبولة بدم الشهداء.

السلام على روحك التي تطوف في سمائنا تبدد الظلمة الجاثمة على الأفق

السلام على ابتسامتك يرفعها أصدقاؤك أيقونة تولد الأمل في النفوس

السلام على ذكراك ترسمها سماتك: الاستقامة والصدق والتسامح وحب الوطن.

أذكر يا باسل أيامنا السينمائية في دمشق القديمة واجتهادكم أنت وكنانة وسيلينا لإنجاحها وجعلها فرصة للاكتشاف والمعرفة وتبادل الآراء.

أذكر دراجتك الهوائية وسيلة انتقالك في المدينة، ويوم سألتك عن تعلقك بها أجبتني أنك من أنصار حماية البيئة ولكي تكون صادقا مع نفسك تمتنع عن المشاركة في تلويثها.

أذكر وقت كنت تخطط لرحلتك نحو الشرق وكلمتك عن فيلم (لماذا ذهب بودي دارما إلى الشرق). قلت لي يومها إنك مثل بودي الصغير ترحل هناك لتكتشف نفسك. كنت تكلمني كلما أتيحت لك الفرصة لتقول لي كم جميل هو العالم وكم غنية كانت تجاربك على الطريق.

أذكر ترددك وقت تقديمك طلب المنحة وكم كنت ألح عليك بمتابعة العمل للحصول عليها.

أذكر أحاديثنا بعد سفرك. سألتك مرة عن أحوالك فأخبرتني أنها ليست مستقرة وبأن بالك مشغول دوما بأخبار الشام. قلت لي "حاسس حالي مو هون، لساتني عنكن". قلت لك إنك تحظى بفرصة رائعة لكي تقدم خدمة للوطن من خلال تحصيلك العلمي... فأجبتني أن الأمر ليس بإرادتك لأن روحك في سورية. قلت لك في آخر حديث هاتفي لنا وأنت في أمريكا: أقبل يديك لا تعود قبل أن تنهي دراستك فأجبتني أنك ستموت قهرا إن بقيت.....

أذكر أخيرا حديثنا حول الفيلم الذي كنت تعده عن أغاني الثورة... كتبت لي: نحن حتى الهتافات نقولها بطريقة ملحنة وغنائية. ونرقص عليها. من قلب الحزن نرقص، مثل زوربا....

يا باسل، أيها الزوربا الصغير نحن اليوم حزانى على فقدك، ولن نرقص... لكننا نعدك أننا سنفعل ذاك قريبا كرمى لك ولكل الشهداء. وأعدك أن أرفع أول كأس على اسمك.

ارقد قرير العين أيها الشهيد فسورية، سوريتك ستكون بخير.

المفكر السوري صادق جلال العظم: المفاجأة السارة أن الثورة السورية لم تنقلب كلياً للعسكرة

■ حوار: رولا أسد

هكـذا وصـف المفكـر السـوري صـادق جـلال العظـم وضـع الحركـة الاحتجاجية بسـوريا في حوار مع موقع DW عربيـة. العظـم تحـدث عن وضع الأقليات وعما يشـاع عن وجود مخاوف من سـيطرة الإسـلاميين على المشهد السياسـي السـوري في مرحلة ما بعد سقوط النظام.

"الربيـع العربـي والنهايـات غيـر السـعيدة؟" نقاش سياسي جرى مؤخرا فـي بـون قـدم فيـه كل مـن المفكر السـوري الكبير صادق العظم والباحث الألمانـي كارسـتن فيلانـد والصحفية الألمانيـة هَنـا فيتيـغ توقعاتهـم عن ما سـتؤول إليه الأمور فـي دول الربيع العربـي. وبهـذه المناسـبة التقت DW عربية العظم لإلقاء الضوء على "الربيع السوري الطويل"، وكان الحوار التالي:

| ثمـة مخاوف لدى البعض من وصول الأحـزاب والتيـارات الدينية للسـلطة في سـوريا، على غرار ما حصل في تونس ومصـر، ما مدى واقعية هذه المخاوف؟

| | تعتمـد القراءة اليومية للوضع السـوري على ذكائنا كمراقبين، إذ نجد اليوم أن التيارات الدينية في سوريا هي تيارات قوية ومنظمة جيدا. زد على ذلك أن النظـام السـوري عمل في السـابق على إفسـاح المجال أمام تلك التيارات، بل واسـتفاد منهـا أكثر مما اسـتفادت هي منه. فظهر النظام بمظهر المراقب والضابط لهذه التيارات وبنفس الوقت كسب مشروعيته من خلالها. كما وقف النظام في وجـه العلمانيين وكان أكثر قسوة عليهم، خصوصا في محاولاتهم لمناقشـة مسـألة التيـارات الدينيـة مع رمـوز السـلطة، أو حتى الـرد على الأطروحـات الإسـلامية لخلـق سـجال عـام بيـن العلمانييـن وبيـن التيارات الإسلامية. لقد كانت مطالب العلمانيين أحياناً تزعـج النظام بالفعـل أكثر من مطالب الإسلاميين.

وبـرأي أن التيـارات الإسـلامية مجتمعة لا تشكل أكثر من 40 بالمائة، وهـذا بنـاء علـى التقديـرات في ظل غياب الدراسـات المتخصصـة في هذا المجـال. وبنـاءً علـى طبيعـة المجتمع السـوري المتنـوع بمكوناتـه، أجد أنه مـن الصعوبة بمـكان أن تأخذ التيارات السـلفية والأصولية موقعا رئيسـيا في سـوريا. في الجهـة المقابلة يوازن علمانيو سـوريا المشـهد، ولهـم أيضا وجهات نظرهـم الخاصة، حيث تتسـع قاعدتهم في أوساط الأقليات، بالإضافة إلى العمانيين من السنة.

| هـل يوجـد فـي سـوريا إسلاميون وعلمانيون فقط؟

| | يوجـد أيضـاً المتديـنون مـن الطبقة الوسـطى التجارية في المدن، أي الإسـلام المتـوازن والمعتدل. وهذا ما يفسـر جاذبية النمـوذج التركي في بعض الـدول العربية، وخاصة الأحزاب السياسية الإسلامية المعتدلة، بل حتى إن التسـميات متقاربة كحـزب النهضة فـي تونس الـذي أعلن صراحـة نهجه على النموذج التركي. ويضيف ضاحكاً: أنـا أطلق على هذا الشـكل الجديد من الإسلام السياسـي بالإنكليزية "Good for business Islam" أي "الإسـلام الجيد للأعمال".

| ورغم ذلـك تطالب الأقليات، خاصـة المسـيحيون والعلويـون

والـدروز بمزيد مـن التطمينات، ما هي تلك التطمينات التي يجب على الإسلاميين أن يقدموها؟

| | الثـورة صيـرورة، والمعارضة صامـدة ومسـتمرة بتقديـم تطمينات للأقليـة، لكن هـل تطمئـن الأقليات؟. أعتقـد أن الأقليـات، في هـذه المرحلة أي قبل الانتقـال لمرحلة تطبيقية، أي مرحلة وضع الدسـتور مثلاً، لن تطمئن لأن ما تحصل عليه هو كلام فقط. من هنا أجد أن أهـم عناصر الاطمئنان هو مشاركة أكبر للأقليات في الثورة. فكلما زادت مشاركتها كلما زادت أهمية دورها في المرحلة القادمة وهي الأهم للبلد. وتبقى المحاولات التـي يقدمها الأفراد من الأقليات مكان احترام وتقدير بدون شـك، وخاصة أنهم يتعرضون لأشكال عديـدة مـن التخويـن على المسـتوى الطائفي والوطني من أبناء طوائفهم.

| وكأن الثقـة معدومـة بيـن الطرفيـن، أقصـد الأقليـات والمعارضة؟

| | الإصـرار على طـرح الموضوع وكأن هاجس السـنة هو الاعتداء على الأقليات المسـيحية والعلوية والدرزية والإسماعيلية، وحتى الأكراد وغيرهم، لا تدعمه الأدلة. بالطبع قد تتطور الأمور وتزيد احتمالية وقوع صراع طائفي في البلد. لكـن لنكن أكثر واقعية، هنا لابد من الإشـارة إلـى أنه قد تحـدث حالات انتقام على أسـاس طائفي. والمبالغة في القول إن الشعب السوري كله محب بشـكل مطلق لبعضه البعض، ما هي إلا رومانسية زائدة عن حدها.

| هل تجد أن هناك حلا لإنهاء الأزمة في سوريا؟

| | يصمـت المفكـر السـوري للحظات ويضيف قائـلاً: هناك توقعات للحـل، أولهـا فـي حـال أوقـف النظام القتل، سـيخرج للشـارع ما يقارب من ثلاثة ملايين سـوري كطوفان بشـري لإزاحـة النظـام، ويتـم بذلـك اقتلاعه سلمياً.

وفـي اجتهـاد آخر، يُبنـي على أن النظـام أخـذ الحـل العسـكري لإنهـاء الثـورة فـي سـوريا، وفي حـال إيقافه للعمليـات العسـكرية سـيكون ذلـك بمثابـة إعـلان هزيمـة بالنسـبة إليه، وبالتالـي لـن يوقف العنـف. وفي هذه الحالـة لابـد من حرب عصابات يشـنها الجيش الحر والمسلحون من المعارضة لاقتـلاع النظام، باعتباره متشـبث جداً بالاستمرار. ويبقى الحل الأسلم برأيي هو الطريقة اليمنية، مع الإشارة إلى أن الحـل في اليمن جاء بعـد الاعتداء على الرئيس علي عبد الله صالح. ولولا هذه الحادثـة أشـك بأن صالح كان سـيقبل بالرحيل.

عن DW الألمانية باللغة العربية

سوريا والظاهرة الطائفية

■ نبراس شحيّد
(راهب يسوعي سوري)

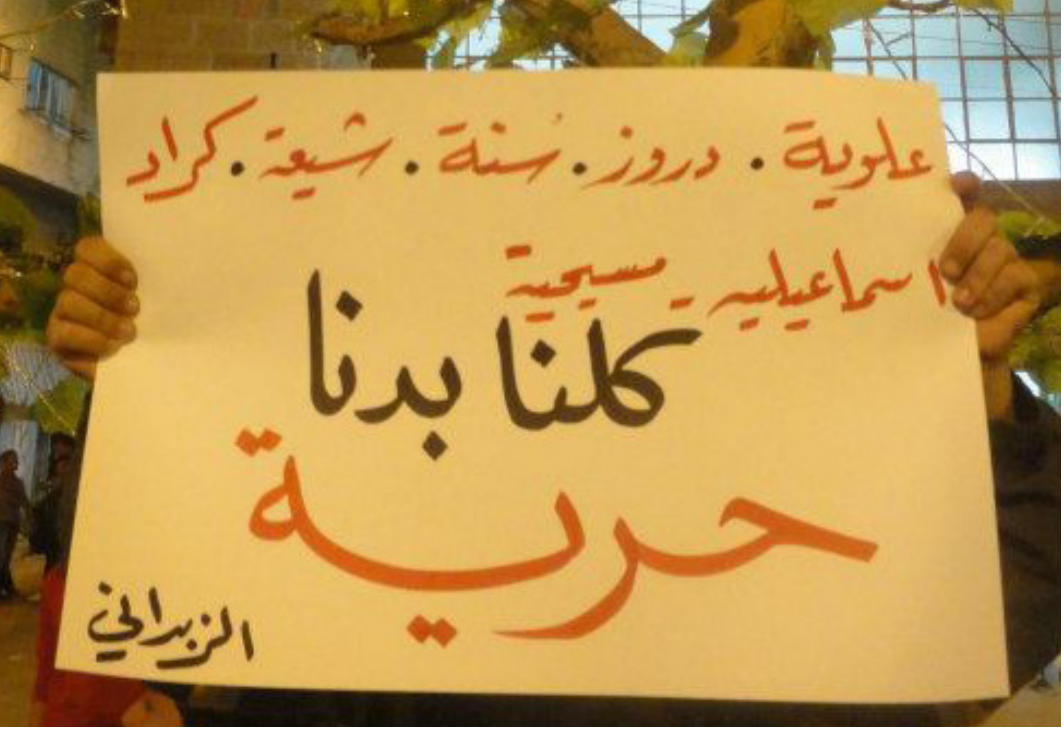

يكثر الكلام في الأيام هذه على الطائفية في سوريا، فيختلط الواقع بالشائعات، ليتحدث بعضهم، على سبيل المثال، عن عمليات "تطهير طائفي" طالت 90 في المئة من مسيحيّي حمص (وكالة فيديس الفاتيكانية 2012/3/12)! من المؤكد أن المبالغة هنا فاضحة، لكنها، على الرغم من ذلك، لا تستطيع أن تنفي تصاعد الظاهرة الطائفية في بعض المناطق. ففي حمص مثلاً، طُردت مجموعةٌ من "الثوار" أشخاصاً من بيوتهم، الأسبوع الماضي، مستفيدةً من انتمائهم الطائفي، ليتم الاستيلاء عليها. كما شهدت القصير، الأسبوع نفسه، أعمال خطفٍ من الروح ذاتها. لا تقتصر الطائفية هنا على بعض الأعمال الفردية التي قام بها فلانٌ وعلتان، بل تتسلل الحال، شيئاً فشيئاً، إلى اللغة والثقافة، ليوصِّف بعضُ "الثوار" "الشبيحة" استناداً إلى طائفتهم، لا إلى أعمالهم! في المقابل، دفعت المماهاة هذه بين الدين والسياسة بعض الناشطين، من أبناء "الأقليات"، إلى إبراز انتماءاتهم الطائفية، كلّ ما تسنى لهم ذلك، في محاولة منهم لتكذيبَ الأطروحة هذه، ليسود بعضَ المناطق جوٌ ثقيل مشبعٌ بالشك. في الإطار هذا، صارت صفحات الـ"فايسبوك"، والمناقشات التي تعقب أفلام الفيديو الخاصة بالثورة على الـ"يوتيوب"، مجرد مكانٍ لتبادل الشتائم الطائفية بامتياز.

لكن توصيف الحالة بالطائفية هنا، ليس بالبساطة هذه، أولاً لتعذر إجراء إحصاءات دقيقة للظاهرة المطروحة؛ وثانياً، لأن الطائفية لا تشكل في الواقع السوري حالةً كيميائية صرفة، بل ظاهرةً تختلط بظواهر أخرى، لتقدم لنا واقعاً معقداً، صرنا نشهد فيه اقتتالاً بين "ثوار" إسلامويين وعناصر من "الجيش الحر"، تنتمي غالبيتهم إلى الطائفة السنية (راجع مثلاً تحقيق قاسم حمادي المنشور في جريدة "السفير"، 2012/05/12، وما جاء فيه على لسان العقيد المنشق قاسم سعد الدين). هنا، تتشابك عوامل عدة، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية، مع المكوّن الديني، لتنسج حالةً من التشدد الطائفي والإيديولوجي العويصة، التي لا بد من مجابهتها.

لتفشي الطائفية أسبابٌ كثيرة، يعود أهمها إلى وحشية النظام في التعامل مع الثورة، على نحو ولّد فيه عنفاً مضاداً، اتسم أحياناً بألوانٍ طائفية، نظراً إلى تركيبة مجتمعنا السوري وعلاقته بالدين، وإلى إمكان تداخل البعد الديني فيه، بدرجاتٍ متباينة، في نسيج الهوية. وعلى مستوىً آخر، تضافرت سياسات النظام الإعلامية والأمنية (المباشرة منها وغير المباشرة) من أجل محاولة كسب الأقليات، من خلال زرع الخوف بين أبنائها. هنا، يكفينا أن نتذكر كيف عمل النظام جاهداً على تشويه صورة الثورة، من خلال تقديم الحراك، منذ أسابيعه الأولى، على أنه صراعٌ طائفي، مسيّس سلفياً، في الوقت الذي كانت فيه سلمية الثورة ناصعةً، وشعارات الوحدة الوطنية، التي تغنت بها، هدّارة. في السياق هذا، تمّ اختلاق مجموعةٍ من الشعارات، كشعار "العلويون إلى التابوت، والمسيحيون إلى بيروت"، الذي نُسب إلى الثوار من دون أي فيديو يوثقه. وكذلك، تمت فبركة أفلامٍ وأحداث عنف، وقصص، كان لها أثرٌ بعيد المدى في نفوس البعض، على الرغم من سوء "إخراجها"، ليستولي على الكثيرين منا قلقٌ من آخَر "مؤبلس" يسن سكينه للذبح!

كما وترافقت الحرب الإعلامية والأمنية هذه بممارساتٍ أخرى، ممنهجة وعفوية، لا مجال للخوض فيها هنا، عزّزت أجواء التوتر الطائفي، كاستهداف الشبيحة بعض أماكن العبادة، وما لازمها من تدنيسٍ للمقدسات.

لكن النظام لا يتحمّل وحده مسؤولية ما نعيشه اليوم، فلمواقف الكثير من المؤسسات الدينية، التي استسلمت للخوف، حصّةٌ فيما يجري هنا، لم يتردد الكثير من رجال الدين في فضح ما اعتبروه "مؤامرة"، وفي نقد الحراك الشعبي، منذ أيامه الأولى، في الوقت الذي لم يتجرأ فيه كبار المسؤولين الدينيين على إدانة وحشية النظام في التعامل مع الناشطين، التي لا تخفى على أحد، لا بل كالوا له المدائح! في الإطار هذا، صرنا نسمع تصريحاتٍ جارحة من رجال دين، كتلك التي تعتبر النظام السوري أفضل الديمقراطيات العربية، أو كتلك التي تؤكد اكتظاظ جامعة حلب بالمسلّحين الأجانب، على الرغم من أن شهداء الجامعة كانوا كلهم من السوريين، وأن مداخل الجامعة ومخارجها، أجمعها، تقع تحت مراقبة الأمن!

أما المعارضة السياسية، فتتحمل أيضاً مسؤوليةً كبيرةً في الوصول إلى ما نحن عليه، بسبب ضعف برامجها واستراتيجيات عملها، وعدم إيلائها الملف الطائفي ما يستحق من أهمية. فلا برامج توعوية عن الطائفية، ولا تقارير دورية لمتابعة الموضوع، ولا شفافية في عمل "المجلس الوطني"، بل تستر على أخطائه الذاتية، بما أفقده الكثير من صدقيته، لتخسر كلمتُه وزنَها في شارع متأجّج. لكن الأخطر من ذلك كله، هو ما بات يرشح عن سعي بعض أطراف المعارضة السياسية، إلى تأسيس جماعاتٍ مقاتلة، مرتبطة بها عقائدياً، ذات طابعٍ إسلاموي تكفيري، مستفيدةً من الصراعات الإقليمية والدولية، ومن انغلاق الآفاق السياسية، ومن التجيّش الديني والعاطفي. مع تنامي التيارات السياسية أو العسكرية المتشددة هذه، شهد واقع الثورة تصاعداً حاداً في مذهبة الشعارات، كما اتسمت أسماء الجُمَع بلون إسلامي قائم على الإقصاء والاستجداء المذهبي، وبشكل يثير الشكوك في آليات العمل التي يتبعها بعض الأطراف المعارضة، بما يخدم مذهبَةَ الثورة.

كما ارتبط التوجّس الطائفي من الآخر الآخذ في الانتشار مع عاملٍ جديد، وهو الفلتان الأمني، الطبيعيّ منه والمتعمّد، بما سهّل مهمة اللصوص وقطاع الطرق (من الأطراف جميعهم) في الإفادة من الظروف الحالية، للقيام بأعمال سلب ونهب وخطف تحت مسمياتٍ عدة، أخذ بعضها اسم "المقاومة"! وطعُّم الفلتان هذا بمحدودية قدرة المعارضة العسكرية على تنظيم نفسها، لتختلط أوراق المسلحين بعضها ببعض، على نحو صار فيه من المضحكِ الكلام علىَ معارضة عسكرية بصيغة المفرد!

لكن، وعلى الرغم من هذا كله، ما زالت رقعة التوتر الطائفي محدودةً نسبياً، وما زال عند الكثير من السوريين الوعي الكافي لمواجهة الظواهر هذه، التي تقع على عاتقنا جميعاً مسؤولية مجابهتها، كلٌ بحسب موقعه. تالياً، لا بدّ من تفعيل العمل الصحافي الشبابي، خارجاً عن الوصاية الصحافية للثورة، ليتسم العمل بروح الشفافية التي لا تحابي أحداً، مطلقة على الأشياء أسماءها الحقيقية، وفاضحةً مسارات الطائفية ومهندسيها، على الرغم من سيل تهم التخوين التي قد تنهال على العاملين بها. في الإطار هذا، صار من الضروري إنشاء فرق عمل خاصة لرصد أحوال المجتمع المدني بظواهره الإيجابية والسلبية، وبما يعتريه من خروقاتٍ أو تشوّهاتٍ في الوعي العام. ولكي يتكلل العمل هذا بشيءٍ من النجاح، لا بد من إرفاقه، على مستوىً آخر، إن أمكن، بمشاريع إغاثٍ أهلي، وببرامج توعوية خاصّة بالسكان عن المواطنة، للعمل قدر الإمكان على مواجهة ظواهر العنف الديني التي لن تجلب إلا الخراب للجميع.

جريدة النهار 2012/5/27

شهداء سورية

مجموع الشهداء (12170)

دمشق: 294
ريف دمشق: 1135
حمص: 4756
حلب: 427
حماه: 1530
اللاذقية: 222
طرطوس: 33
درعا: 1232
دير الزور: 444
الحسكة: 80
القنيطرة: 21
الرقة: 50
ادلب: 1938
السويداء: 7

921 عدد العسكريين
11249 عدد المدنيين
521 عدد الإناث
295 عدد الأطفال الإناث
830 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 2 / 6 / 2012
http://vdc-sy.or